روايات مصرية للجيب

نغية أشهر مجهول

سلسلة الغاز بوليسية مثيرة للشباب

مغامرات ٤×٢

53

RASHID
WWW.DVD4ARAB.COM

٤×٢

سلسلة ألغاز بوليسية ، تجمع ما بين الغموض والإثارة والحركة ، وتسبح بنا - فى كل مرة - فى عالم جديد ، يسعى كل أبطاله - على اختلاف ألوانهم - إلى مكافحة الجريمة ، والسعى إلى تحقيق العدالة ، وجميعهم يحملون شعارًا واحدًا .. شعار (ع×٢)

د. نبيل فاروق

١ - البطل ..

« (عصام كامل) .. هل رأى أحدكم (عصام كامل) ؟! »

ردَّد سكرتير تحرير الجريدة هذا السؤال ، فى قسم أخبار الحوادث ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، بحثًا عن (عصام) ، على نحو جعل إحدى زميلات هذا الأخير تسأله فى شغف وفضول :

- فيم تريد الأستاذ (عصام) ؟!.. هل ارتكب مخالفات جديدة ؟!

هزّ سكرتير التحرير رأسه فى شىء من الأسف ، وهو يجيب :

- كلاَّ .. لم يرتكب أية مخالفات فى الآونة الأخيرة ، ولكن رئيس التحرير يطلبه شخصيًا لأمر عاجل .

رفعت حاجبيها فى دهشة ، قائلة :

- أمر عاجل ؟!.. هل حدثت جريمة غامضة جديدة ؟

شعر سكرتير التحرير بالضجر لكثرة أسئلتها ، فلوَّح بيده ، وأشاح بوجهه عنها ، مكرِّرًا سؤاله :

- هل رأى أحدكم (عصام كامل) ؟!

أشار إليه أحد زملاء (عصام) ، من آخر الحجرة ، قائلاً :

ـ لو أنك تبحث عن (عصام) ، فستجده هناك ، فى قسم التصوير ، مع عم (توفيق) ، فهو يتدرَّب على تحميض وإظهار الصور الضوئية .

مطَّ سكرتير التحرير شفتيه ، مغمغمًا :

ـ يا لإضاعة الوقت ! لماذا لا يكتفى بدور الصحفى ؟!

لم يكد يلقى سؤاله ، حتى أتاه صوت (عصام) ، وهو يجيب فى حزم :

ـ لأن هذا لم يعد يكفى فى هذا الزمن .

التفت سكرتير التحرير فى دهشة إلى (عصام) ، الذى دلف إلى القسم ، وهو يجفف يديه بمنديله ، قبل أن يدسَه فى جيبه ، ويتجه إلى مكتبه ، متابعًا :

ـ كل شىء يتطوَّر بسرعة ، والصحفى أصبح مثل رجل المخابرات ، لابد وأن يكتسب فى كل يوم مهارات جديدة .

لوَّح سكرتير التحرير بيده فى ضجر ، قائلاً :

ـ حسن .. حسن يا صحفى المخابرات .. اكتسب ما شئت من المهارات ، ولكن تعال لمقابلة رئيس التحرير أوَّلاً .

لم تمض دقائق معدودة على هذا القول ، حتى كان (عصام) يقف أمام رئيس التحرير ، الذى استقبله فى لهفة واضحة ، قائلاً :

ـ (عصام) .. أهلاً بك .. أرجو أن تكون مستعدًا لتغطية حدث جديد .

بدا الاهتمام على وجه (عصام) ، وهو يسأله :

ـ أهى جريمة عنيفة إلى هذا الحد ؟!

صمت رئيس التحرير لحظة ، ثم هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا .. لا توجد أية جرائم هذه المرة .. إنها تغطية لافتتاح قرية الأطفال الجديدة ، فى منطقة الهرم .

حدَّق (عصام) فى وجهه لحظة بدهشة مستنكرة ، قبل أن يهتف فى غضب :

ـ افتتاح قرية أطفال ؟! وما شأنى أنا بحدث كهذا ؟! إننى صحفى حوادث .. لماذا لا ترسل (طارق) مثلاً ؟!

أجابه رئيس التحرير فى حزم :

ـ ليس لدى من يغطى الحدث سواك .. (طارق) أصابه التهاب مفاجئ فى الزائدة الدودية(*) ، وسيجرى

(*) الزائدة الدودية : شاخصة أنبوبية ، طولها حوالى ٨ سم ، تخرج من القولون الأعور ، وهو أوَّل جزء فى الأمعاء الغليظة ، وتقع فى الجهة اليمنى فى أسفل البطن ، ومعظم نسيجها ليفى ، وهى عرضة للالتهابات ، مثل كل الأنسجة الليفية الأخرى .

جراحة عاجلة بعد أقل من ساعة واحدة ، و (حسام) يغطى مباراة التنس(*) فى نادى الجزيرة ، أما (أشرف) فقد سافر أمس إلى (اليونان) ، لمتابعة قضية السفارة هناك ، ولن يعود قبل أسبوع ..

قال (عصام) فى عصبية :

ـ إذن فليس أمامكم سوى (عصام كامل) ، الصحفى الوحيد الذى يمكنكم إسناد أى عمل سخيف إليه ، دون الاهتمام بارتياحه النفسى ، أو ارتباطاته الاجتماعية .

ابتسم رئيس التحرير بشىء من السخرية ، وهو يقول :

ـ ارتباطاتك الاجتماعية ؟! أية ارتباطات هذه ؟! إنك تحيا وحدك ، وليست لك أية صداقات ، و ..

قاطعه (عصام) بشىء من الحدة ، وهو يرفع يده أمام وجهه :

ـ وماذا عن هذه ؟! .. أليست دبلة خطبة ؟! ألا يوحى وجودها بأن لدىّ ارتباطًا اجتماعيًا من نوع ما ؟!

(*) التنس = رياضة واسعة الانتشار ، تصلح للجنسين ، ولمختلف الأعمار ، وتمارس على ملعب صغير ، أرضيته مدكوكة ، أو جامدة ، أو خشبية ، أو مزروعة بالنجيل ، وذلك فى الهواء الطلق ، أو بداخل جدران، ولقد أدرج فى الدورات الأوليمبية ، حتى تم حذفه بعد دورة ١٩٤٢م .

اتسعت ابتسامة رئيس التحرير ، ومال نحوه ، وهو يقول بشىء من الخبث ، غامزًا بعينه :

ـ ربما كان هذا الارتباط بالتحديد ، هو سبب اختبارى لك ؛ لتغطية الافتتاح .

أطلّت نظرة متسائلة من عينى (عصام) ، فتابع رئيس التحرير بنفس الخبث والابتسامة الكبيرة :

ـ معلوماتى تؤكد أن (التليفزيون) يقوم بتغطية حفل الافتتاح أيضًا .. خمّن من المذيعة المسئولة عن هذا ؟!

قفزت إلى ذهن (عصام) صورة خطيبته (نهلة) ، فارتفع حاجباه ، وخفق قلبه فى قوة ، ونهض قائلاً :

ـ متى يبدأ حفل الافتتاح ؟!

وهنا ، تحوّلت ابتسامة رئيس التحرير إلى ضحكة .. ضحكة كبيرة ..

وخبيثة ..

★ ★ ★

تهلّلت أسارير (نهلة) ، مذيعة (التليفزيون) المعروفة ، وخطيبة (عصام كامل) ، عندما لمحت هذا الأخير يهبط من سيارته الصغيرة ، مع المصوّر (توفيق) ، وأسرعت إليه ، هاتفة فى حرارة وسعادة :

ـ (عصام) .. يالها من مفاجأة !.. إننى لم أتوقَّع أبدًا مقابلتك هنا !

أجابها فى سرعة ، وابتسامته تكاد تلتهم وجهه :

ـ لقد علمت أنك ستقومين بتغطية الحفل ، فتبادلت المواقع مع أحد زملائى ، وأتيت إلى هنا لمقابلتك .

ضحكت فى سعادة ، قائلة :

ـ كم يسعدنى هذا .

ابتسم عم (توفيق) فى خبث ، على نحو أحرجها ، فأبدلت الموضوع ، قائلة :

ـ لقد وصلت وزيرة الشئون الاجتماعية بالفعل ، وما هى إلا دقائق ويبدأ الحفل .

أشار إليها ، قائلاً :

ـ ما رأيك لو أدعوك لتناول طعام الغداء ، بعد انتهاء الحفل .

ضحكت مرة أخرى ، وهى تقول :

ـ كنت أتمنى هذا يا (عصام) ، ولكن لابد من عودتى إلى مبنى (التليفزيون) بعد الحفل ، للإشراف على عملية إعداد الفيلم ؛ ليتم عرضه فى نشرة أخبار التاسعة .

مطَّ شفتيه ، مغمغمًا :

ـ يا لسوء حظى !

ابتسمت فى حنان ، وربَّتت على وجهه ، قائلة :

ـ لا بأس .. يمكننا أن نستبدل بدعوة الغداء دعوة أخرى للعشاء بعد نشرة التاسعة .

تهلَّلت أساريره ، وهو يقول :

ـ اتفقنا .

صاح بها أحد أفراد طاقم التصوير ، فى تلك اللحظة :

ـ هيا يا آنسة (نهلة) .. لقد بدأ الحفل .

أسرعت إلى طاقمها ، وهى تلوِّح بيدها لـ (عصام) ، هاتفة :

ـ لا تنس الدعوة .

ابتسم عم (توفيق) ، وهو يقول :

ـ اطمئنى .. لن ينساها .

احتقن وجه (عصام) ، وأطلَّ الخجل من صوته وعينيه ، وهو يقول ، فى شىء من العصبية :

ـ نحن هنا للعمل .. أليس كذلك ؟!

ضحك عم (توفيق) ، وهو يقول :

ـ بالطبع يا أستاذ (عصام) .. بالطبع .

بدأ الحفل بالفعل ، وراحت وزيرة الشئون الاجتماعية

تلقى كلمتها ، ثم بدأت بعض العروض المسرحية ، التى يمثلها ويخرجها الأطفال ، وشعر (عصام) بملل لا حدود له ، وهو يتابع فقرات الحفل ، وعم (توفيق) يلتقط عشرات الصور ، و ..

وفجأة ، انطلقت صرخة ..

صرخة قوية ، اخترقت آذان الجميع بكلمة واحدة :

ـ حريق ..

واستدار الجميع فى حركة واحدة إلى مصدر الصوت ..

وخفقت قلوبهم فى قوة ..

فمن الطابق الثانى للمبنى الرئيسى ، الذى يضمّ عنابر وحجرات نوم الأطفال ، ظهرت ألسنة اللهب ، وهى تلتهم النوافذ وإطاراتها على نحو مخيف ..

ولكن هذا المشهد ، على الرغم من بشاعته ، لم يكن السبب الرئيسى لخفقات قلوب الجميع ، وذلك الهلع الذى أصابهم ..

لقد كان هناك سبب أكثر أهمية وخطورة ..

سبب يتمثَّل فى طفلين صغيرين ، راحا يبكيان ويصرخان فى رعب ، من نافذة الطابق الثالث والأخير للمبنى ..

ومع مشهد النيران المندلعة فى الطابق الثانى ، وألسنتها التى تخرج من كل نوافذه ، أدرك الجميع أن إنقاذ الطفلين لم يعد ممكناً ..

لقد صار مستحيلاً ..

تمامًا ..

★ ★ ★

لم يتوقَّف طاقم تصوير (التليفزيون) لحظة واحدة عن العمل ، على الرغم من ألسنة النيران المخيفة ..

لقد أدرك أفراده أنهم أمام حدث فريد ، ولم يشأ أحدهم إضاعة ثانية واحدة منه ..

أما (نهلة) ، فراحت تصرخ فى ارتياع :

ـ اطلبوا رجال الإطفاء والإسعاف ..أسرعوا .. الطفلان فى خطر .

اندفع (عصام) نحو المبنى ، وقلبه يخفق فى عنف ، وعقله يتساءل عن وسيلة الوصول إلى الطابق الثالث ، و ..

وفجأة ، اندفع رجل ما إلى المكان ..

لم يكن أحد المدعوين إلى الحفل ، أو أحد رجال الأمن ، وإنما لمح ألسنة اللهب من الشارع ، ورأى الطفلين فى الطابق الثالث ، فغادر سيارته ، واندفع إلى

المكان ، الذى سادته الفوضى ، وخلع سترته ، وألقاها أرضًا ، وهو يهتف بالأطفال الآخرين :

ـ تراجعوا .. ابتعدوا عن النيران .

ألقى هتافه بلهجة آمرة ، وكأنما اعتاد إلقاء الأوامر طيلة عمره ، فأطاعه الجميع على نحو تلقائى ، وتعلّقت به عيونهم ، وعدسات التليفزيون ، وهو يتعلّق بنخلة طويلة ، إلى جوار المبنى ، ويتسلّقها بسرعة مدهشة ، جعلت عينا (عصام) تتسعان ، وهو يغمغم :

ـ ما الذى يفكّر فى فعله هذا الرجل ؟!

لم يبال عم (توفيق) بإجابته ، وهو يلتقط الصور فى لهفة ، فى حين هتفت (نهلة) بطاقم التصوير :

ـ إياكم أن تفقدوا لحظة واحدة .

لم يكن أحدهم بحاجة إلى تعليماتها ، وهم يتابعون الرجل بعدسات التصوير فى لهفة واهتمام ، وهو يبلغ قمة النخلة ، ويتعلّق بها ، ثم يتأرجح مرة أو مرتين ، قبل أن يثب فى خفة ، على نحو انطلقت معه شهقات الجميع ، وهو يسبح فى الهواء ، قبل أن يتعلق بحافة سطح المبنى ..

وبسرعة مدهشة ، وثب الرجل إلى السطح ، واختفى لما يقرب من نصف الدقيقة ، قبل أن يظهر فى الطابق

الثالث ، ويحمل الطفلين ، ويحتضنهما فى قوة وهو يبتعد بهما عن ألسنة اللهب ، التى بدأت تصل إلى نوافذ الطابق بالفعل ..

وفى حماس شديد ، هتفت (نهلة) :

ـ لقد أنقذهما .. يا له من بطل !.. أنقذ الطفلين .

غمغم (عصام) ، وهو يتابع المشهد فى انبهار :

ـ هذا صحيح ، ولكن كيف يخرج معهما من هذا الجحيم ؟!

اتسعت عينا (نهلة) مرة أخرى فى ارتياع ، وهتفت :

ـ ربّاه !.. نعم .. كيف يفعل هذا ؟

عادت أنظار الجميع تتعلّق بالمبنى فى توتر بالغ ، حتى ظهر الرجل مرة أخرى على السطح ، وضمّ إليه الطفلين فى قوة ، ثم وثب إلى حاجز السطح ، فهتف أحد رجال الأمن :

ـ يبدو أنه سيقفز .

شهقت وزيرة الشئون الاجتماعية ، مردّدة :

ـ يقفز ؟!.. كيف ؟!

ولم تكد تتمّ عبارتها ، حتى قفز الرجل بالفعل ..

قفز من سطح المبنى المشتعل إلى تلك الخيمة الكبيرة ، التى أقيمت فى الساحة ، لإحاطة المسرح الصغير ..

قفز من سطح المبنى المشتعل إلى تلك الخيمة الكبيرة ، التى أقيمت فى الساحة ، لإحاطة المسرح الصغير ..

وسقط الرجل مع الطفلين على سطح الخيمة القماش ، الذى لم يحتمل ثقله ، فتمزّق تحته ، ودفع جسده لينزلق فى قوة ، ويسقط مرة أخرى ..

ولكن الارتفاع هذه المرة لم يكن يتجاوز الأمتار الثلاثة ..

لقد تلقّى سطح الخيمة صدمة السقوط الأوّل العنيفة ، وامتصّها كلها ، وأزال ثمانين فى المائة من الخطر ..

وفى المرة الثانية ، سقط الرجل على الأرض الرملية ، وسط مقاعد المسرح ، ودفع جسده إلى الخلف ؛ ليتلقّى صدمة السقوط على ظهره ، وليحمى الطفلين من الارتطام ..

ولثوان ، ران على المكان صمت رهيب ، وتجمّد الجميع فى أماكنهم ، وكأنهم لا يصدّقون أن الرجل قد نجا مع الطفلين ..

أو أن مبادرته الانتحارية البطولية قد أتت ثمارها ..

وفى لحظات الصمت والجمود هذه ، نهض الرجل ، ووضع الطفلين أرضًا ..

وفى نفس اللحظة ، ارتفع دوى بوقى سيارة الإطفاء وسيارة الإسعاف ، وهما تتجهان إلى القرية ..

وهنا ..

هنا فقط ، تحطَّم الصمت والجمود ..

وهنا فقط ، اندفع الجميع نحو الرجل ، الذى تمزَّق قميصه ، وبدت عليه آثار الصراع ، وهو يبتسم ابتسامة مرهقة ، لاهثة ، والدماء تغرق صدره وذراعه ..

وبكل حماس الدنيا ، سألت (نهلة) طاقم التصوير :

ـ هل التقطتم المشهد ؟!

أشار إليها رئيس الطاقم بإبهامه ، مجيبًا :

ـ كل ثانية منه .

أما (عصام) ، فقد اندفع نحو الرجل ، وهو يهتف :

ـ يا له من بطل !.. يا له من رجل عظيم !.. سأفوز بأوَّل حديث صحفى معه ..

كان الرجل يبدو مرهقًا ، وهو يبتسم فى صعوبة ، ويتلقى التهنئة ، و ...

وفجأة ، ارتدَ إلى الخلف فى عنف ، وتراجع رأسه بحركة حادة ، ثم سقط على الأرض كقطعة من الحجر ..

وانطلقت صرخات دهشة وذعر للموقف ، وتوقَّف (عصام) مشدوهًا ، وهو يتساءل :

ـ رباه !.. ماذا حدث ؟!.. ماذا أصابه ؟!

وصلت سيارة الإسعاف فى هذه اللحظة ، مع سيارة الإطفاء ، فقفز رجال الإطفاء من السيارة الثانية ،

وانهمكوا فى محاولة إطفاء النار ، فى حين أسرع رجال الإسعاف إلى الرجل ، وسألهم (عصام) ، وهم يفحصونه :

ـ ماذا أصابه ؟!.. لقد سقط فجأة ، ابذلوا أقصى طاقتكم لإسعافه ، و..

قاطعه أحدهم فى أسف :

ـ لا فائدة من هذا .

اتسعت عينا (عصام) فى ارتياع ، وهو يكرِّر :

ـ لا فائدة من هذا ؟!.. ماذا تعنى ؟!

تحسَّس رجل الإسعاف وجه الرجل ، ليسبل جفنيه بأصابعه ، وهو يخفض عينيه ، مجيبًا فى أسف حزين :

ـ لقد مات .

وانتفض جسد (عصام) فى عنف ، كمن أصابته صاعقة ..

لقد كانت مفاجأة بحق ..

مفاجأة عنيفة .

★ ★ ★

٢ ـ المجهول ..

انعقد حاجبا (عادل محمود) ، عميد الشرطة السابق ، وشريك (عصام) الحالى ، فى مكتب للتحريات الخاصة ، وهو يستمع من هذا الأخير إلى تفاصيل القصة ، ولم يحاول مقاطعته بحرف واحد ، حتى انتهى من روايته ، فسأله فى اهتمام :

ـ وما سبب وفاة ذلك الرجل ؟!.. هل أصيب بحروق عنيفة ، من الدرجة الثالثة مثلاً(*) ؟!

هزَّ (عصام) رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى توتر ملحوظ :

ـ كلاَّ .. لم يصب بأية حروق ، لا من الدرجة الثالثة ، ولا حتى من درجة الصفر ، ولكن ربما أصيب بجراح قاتلة ، فالدماء كانت تغطى صدره وذراعيه،

(*) حروق الدرجة الثالثة = هى الحروق التى تتجاوز طبقة الجلد الخارجية والداخلية إلى الأنسجة تحت الجلدية ، وتتوقَّف خطورتها على مساحتها وعمقها ، وهى أكثر خطورة فى الأطفال والمسنين ، وتنتج خطورتها مما تسبِّبه من آلام شديدة ، وصدمة عصبية عنيفة ، وفقد لسوائل الجسم ، وترشيح بلازما الدم من الأنسجة المحترقة ، وامتصاص بعض السموم من الأنسجة المتحلِّلة .

ورجل الإسعاف أشار إلى احتمال إصابته بنوبة قلبية مفاجئة ، من فرط ما بذل من جهد ، ولكن كل هذه مجرَّد احتمالات ، سيحسم أمرها الطب الشرعى ، بعد تشريح الجثة ، وتحديد السبب الفعلى للوفاة .

ثم تنهَّد فى عمق ، قبل أن يضيف فى شىء من العصبية :

ـ ولكن هذه ليست المشكلة الرئيسية .

سأله (عادل) :

ـ ما المشكلة إذن ؟!

لوَّح (عصام) بذراعيه ، قبل أن يجيب فى حنق :

ـ المشكلة أننا لا نعرف من هذا الرجل !.. من هو البطل الذى ضحى بحياته ؛ لإنقاذ طفلين من الموت حرقًا ؟!.. ما هويته ؟! ماذا يعمل ؟!.. ما اسمه ؟!.. إننا ـ وعلى الرغم مما فعله ـ نجهل كل شىء عنه !

بدت الدهشة على وجه (عادل محمود) ، وهو يقول :

ـ وكيف هذا ؟!.. ألم يكن يحمل بطاقة شخصية ، أو رخصة قيادة ، أو حتى بطاقة عضوية فى أحد النوادى ؟!

هزَّ (عصام) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ لم يكن يحمل شيئًا على الإطلاق .

عاد حاجبا (عادل) ينعقدان ، وهو يفكّر فى الأمر بصوت مسموع ، قائلاً :

ـ عجبًا !.. هذا أمر غير طبيعى على الإطلاق .. أى شخص يحمل فى المعتاد ولو ورقة واحدة تدل على هويته .. فى حافظة نقوده على الأقل .

أشار (عصام) بسبّابته ، قائلاً :

ـ هنا تكمن المشكلة الحقيقية .

قالها ، ونهض من مقعده ، وراح يسير فى الحجرة فى توتر ، متابعًا :

ـ كل شهود الواقعة ، أكّدوا أنه الرجل كان يرتدى سترته ، عندما اندفع إلى المكان ، وأنه خلعها ، وألقاها أرضًا ، قبل أن يتسلّق النخلة المواجهة للمبنى المحترق ، ولكن هذه السترة اختفت تمامًا ، ولم أعثر لها ـ أنا ورجال الشرطة ـ على أدنى أثر ، على الرغم من أننا بحثنا عنها جيّدًا ، وفتشنا كل ركن وكل شبر فى قرية الأطفال كلها .

غمغم (عادل) ، وهو يداعب ذقنه بسبّابته وإبهامه ، كعادته كلما انهمك فى التفكير العميق :

ـ عجبًا !.. هل تعتقد أن أحدهم سرقها مثلاً ؟!

أجابه (عصام) فى توتر أكثر :

ـ هذا ما افترضه رجال الشرطة ، وافتراضهم هذا قد يبدو منطقيًا ، ويتناسب مع خبرتهم فى التعامل مع المجرمين واللصوص ، وغيرهم ، ولكن تعترضه فى رأيى نقطتان بالغتا الأهمية .. أولاهما أن شيئًا آخر لم يُسرق أو يختف ، على الرغم من حالة الهرج والمرج ، التى سادت المكان .

اعتدل (عادل) فى اهتمام ، قائلاً :

ـ وثانيتهما ؟!

التقط (عصام) نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب :

ـ ثانيتهما أن سيارته أيضًا اختفت .

لم ينبس (عادل) ببنت شفة هذه المرة ، ولكن عينيه تألقتا على نحو عجيب ، ونقر بأصابعه على سطح المكتب فى عنف ، وكأنه يعلن أن الأمر قد أثار اهتمامه وانتباهه بشدة ، و (عصام) يتابع :

ـ سكان البنايات المطلّة على القرية اتفقوا جميعًا ، على أن الرجل كان ينتظر داخل سيارة زرقاء ، يعتقد بعضهم أنها من طراز (فيات ١٣٢) ، ويعتقد البعض الآخر أنها (بى . إم .دابليو) ، كانت تقف إلى جوار سور القرية ، وأنه غادرها مندفعًا ، عندما لمح النيران ،

ولقد انشغلوا جميعًا فى متابعة ما فعله الرجل ، ولم ينتبه أحدهم إلى السيارة ، التى لم يعد لها أثر ، منذ وصلت سيارتا الإسعاف والإطفاء ، إلا عندما سألتهم عن موقف الرجل .

التقى حاجبا (عادل محمود) طويلاً ، وهو يدرس هذا الموقف ، الذى بدا له عجيبًا ، بالنسبة لخبراته السابقة فى المباحث الجنائية ، وتراجع فى مقعده ، وعاد يداعب ذقنه بسبَّابته وإبهامه فى صمت عميق ، احترمه (عصام) ، فلم ينبس ببنت شفة ، وهو يتطلَّع إليه طويلاً ، حتى قال (عادل) فى حسم :

ـ أنت على حق يا (عصام) .. هناك أمر عجيب غامض ، وراء هذا الحادث .

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ أمر يستحق إجراء بعض التحريات حوله .

تنفَّس (عصام) الصعداء ، وهو يقول فى ارتياح :

ـ يبدو أننا اتفقنا هذه المرة .

ثم استدار ، ملوِّحًا بسبَّابته :

ـ ولكن ينبغى أن تدرك أننا لن نتقاضى أجرًا عن هذه العملية .

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

ـ من يدرى ؟!

ثم نهض من خلف مكتبه ، والتقط سترته ، مستطردًا :

ـ ثم إننا بحاجة إلى بعض النشاط ، فمنذ افتتحنا مكتب التحريات الخاص هذا ، لم نظفر إلا ببعض القضايا التقليدية البسيطة(*) .

أشار إليه (عصام) ، قائلاً :

ـ أنت على حق ، ولكننى أنصحك بعدم الانصراف الآن .

سأله (عادل) فى اهتمام :

ـ ولماذا ؟!

أشار (عصام) إلى جهاز (التليفزيون) ، مجيبًا فى حزم :

ـ الحادث سيذاع فى نشرة الساعة التاسعة .

ارتفع حاجبا (عادل) ثم انخفضا ، وعاد يجلس خلف مكتبه ، ويتطلَّع إلى شاشة (التليفزيون) ، قائلاً :

ـ أنت على حق .. من الأفضل أن نشاهد الفيلم معًا ، فهذا يساعدنا على تكوين صورة أكثر وضوحًا للموقف كله .

(*) راجع العدد الخاص رقم (٤) (الحلقة الجهنمية) ـ (ع ×٢) (آخر القضايا) .

وفى صمت واهتمام ؛ جلس الاثنان يتابعان نشرة أخبار الساعة التاسعة ، فى انتظار عرض الفيلم ، وفى عقليهما تدور فكرة واحدة ..

هناك أمر غامض ، خلف ذلك الرجل ..

حتمًا ..

★ ★ ★

اتسعت عيون الملايين ، فى جميع أنحاء (مصر) ، فى دهشة وانبهار ، وهم يحدِّقون فى شاشات أجهزة (التليفزيون) ، ويتابعون ذلك العمل البطولى ، الذى قام به الرجل ، وخفقت قلوبهم مع قفزاته ، وانطلقت شهقاتهم مع وثبته الأخيرة على سطح خيمة المسرح ، وتفجَّرت الدموع من عيونهم ، وهم يشاهدون لقطة سقوط الرجل ، ومصرعه ..

ولم تكد نشرة أخبار الساعة التاسعة تنتهى ، حتى انهالت مئات المكالمات التليفونية على مبنى الإذاعة والتليفزيون(★) ، يتساءل أصحابها عما حدث ، وينعون

(★) مبنى الإذاعة والتليفزيون = مبنى شهير على كورنيش النيل فى منطقة (ماسبيرو) ، أنشىء لبدء البث الإذاعى والتليفزيونى الرسمى ، الذى بدأ من (القاهرة) فى يوليو ١٩٦٠م .

البطل الشهيد ، ويطلبون معرفة اسمه ، والمزيد من التفاصيل عنه ، ويطالبون بإقامة حفل تأبين رسمى له ..

ولم تمض ساعة واحدة ، حتى صار ذلك الرجل أشهر شخص فى (مصر) كلها ..

بل أشهر مجهول ..

الكل رآه ، وشاهد أعماله البطولية ، وانبهر بانتحاريته ، وبسالته ، وإقدامه ..

والكل بكى لمصرعه ..

ولا أحد يعرف من هو ..

من يكون ؟!..

ما هويته ؟!..

ماذا كان يفعل عند القرية ؟!..

لماذا لقى مصرعه ، بعد نجاحه فى إنقاذ الطفلين ؟!..

عشرات الأسئلة تفجَّرت فى الأذهان ، وأثارت فضول الملايين ، على نحو جعل من المحتم أن يحصل الكل على أجوبة شافية ..

وبأى ثمن ..

هذا ما صرخ به رئيس التحرير ، فى وجه (عصام) ، قبل أن يدق سطح مكتبه بقبضته ، مستطردًا فى حماس :

ـ ها هى ذى قضية الموسم تلقى نفسها بين يديك يا (عصام) ، وكأنك أصبحت عامل جذب قوى ، لكل القضايا والحوادث .. هيا .. ابذل قصارى جهدك يا فتى .. انطلق بكل إصرارك وعنادك المعهودين .. انبش الأرض بأظفارك .. حطِّم الصخر .. غص فى أعماق البحار ، استقلّ صاروخًا إلى غياهب الفضاء .. المهم أن تحصل على كل المعلومات .. كل المعلومات يا (عصام)..

زفر (عصام) ، قائلاً :

ـ إننى أبذل قصارى جهدى بالفعل ، فأنا أيضًا أرغب فى معرفة هوية ذلك المجهول ، الذى صار أشهر من نار على علم فى (مصر) كلها .

أشار إليه رئيس التحرير ، قائلاً بنفس الحماس :

ـ على بركة اللّه .. هيا .. انطلق يا ولدى ، ولو نجحت فى كشف السر ، أعدك بالحصول على مكافأة لم تحلم يومًا بها .

تنهَّد (عصام) ثانية ، وهو ينهض ، قائلاً :

ـ صدقنى يا سيِّدى .. المكافأة لا تهمنى ، بقدر ما تهمنى المعرفة نفسها .

كان صادقًا للغاية فى عبارته ، فمع الغموض المحيط بالموقف ، لم يعد يعنيه سوى كشف الحقائق ..

وبأى ثمن ..

وعندما هبط إلى سيارته ، كان (عادل محمود) فى انتظاره ، وهو يسأله فى اهتمام بالغ :

ـ هل وجدت لديهم أية معلومات جديدة ؟!

هزَّ (عصام) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ إنهم يعتمدون علىَّ :

أومأ (عادل) برأسه متفهِّمًا ، وهو يدلف إلى سيارته ، قائلاً :

ـ فليكن .. دعنا نبدأ عملية البحث .

سأله (عصام) ، وهو يحتلّ مقعد القيادة ، ويدير محرّك السيارة :

ـ ألديك فكرة عن النقطة التى يمكننا منها بدء البحث ؟!

أومأ (عادل) برأسه إيجابًا ، فسأله فى اهتمام :

ـ وما هى ؟!

صمت (عادل) لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ (التليفزيون) .

وارتفع حاجبا (عصام) فى دهشة ، وهو ينطلق بالسيارة .

ولم يفهم ما الذى يمكن أن يمنحهم إياه (التيلفزيون) ..

لم يفهم أبدًا ..

★ ★ ★

ارتسمت دهشة متوترة على وجه خبير مونتاج (الفيديو) فى (التليفزيون)(*) ، وهو يتطلّع إلى (عادل) و (عصام) ، قبل أن يعتدل فى مجلسه ، ويلتفت إلى (نهلة) ، سائلاً :

ـ معذرة يا آنستى ، ولككنى لا أفهم المطلوب بالضبط .. هل يرغب هذان السيِّدان فى رؤية فيلم الحادث ؟!

تنحنحت (نهلة) ، قائلة :

ـ الواقع أنهما ..

أشار إليها (عادل) بالصمت ، وهو يجيب الرجل :

ـ لسنا نرغب فى مجرَّد رؤيته ، فقد قمنا بتسجيله بالفعل ، كما تم عرضه فى نشرة الساعة التاسعة ، ولكننا نريد رؤيته كما تم تصويره ، وقبل أن تمتدّ إليه يد التعديل والإعداد .

ارتفع حاجبا الرجل مرة أخرى فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ولماذا ؟!

(★) المونتاج = هو عملية إخراج الفليم المصوَّر ، وإعادة إعداده وترتيبه ، وحذف بعض المشاهد أو اللقطات منه ، بحيث يتوافق مع السيناريو المكتوب ، ويخرج للعرض بالصورة المثالية .

أجابه (عصام) هذه المرة ، وهو يتحدَّث فى حماس يمتزج بالحزم :

ـ اسمع يا رجل .. ألا ترغب مثل الجميع ، فى معرفة حقيقة ذلك البطل المجهول ، الذى أنقذ الطفلين ؟

أجاب الرجل فى دهشة عصبية :

ـ بالتأكيد ، ولكن ..

قاطعه (عصام) ، وهو يواصل بنفس الحماس :

ـ كيف يمكننا التوصُّل إلى هذا إذن ، لو أن الجميع رفضوا التعاون معنا مثلك ؟!

ارتبك الرجل ، ولوَّح بكفه ، قائلاً :

ـ لست أرفض التعاون ، ولكننى ..

قاطعته (نهلة) هذه المرة ، وهى تتصنَّع الغضب ، وتقول :

ـ عجبًا !.. خطيبتك أكَّدت لى أنك ستتعاون معنا ، وستبذل قصارى جهدك لتحقيق هذا السبق للتليفزيون المصرى .

اتسعت عينا الرجل ، وتراجع هاتفًا :

ـ وهذا ما سأفعله بالتأكيد .. ما الذى تطلبون رؤيته بالضبط ؟

ابتسم (عادل) ، قائلاً :

ـ لقد أخبرتك .

استدار الرجل إلى أجهزة العرض المتطوّرة ، قائلاً في حماس مباغت :

ـ دقائق ويصبح العرض جاهزًا .

ولم تمض دقائق بالفعل ، حتى بدأ عرض الفيلم الأصلى ، وراح (عادل) و (عصام) و (نهلة) يتابعونه فى شغف ..

لم يكن يختلف كثيرًا عن الفيلم ، الذى تم عرضه فى نشرة الساعة التاسعة ، إذ لم يتمّ حذف أكثر من أربع دقائق ، ارتبكت خلالها آلة التصوير ، بسبب الاضطراب الذى ساد المكان ..

وبينما يمضى العرض ، وفى اللحظة التى سقط فيها البطل فجأة ، هتف (عادل) :

ـ أوقف العرض .

أطاعه خبير المونتاج بحركة آلية ، وأوقف العرض ، فتجمّدت الصورة على الشاشة الكبيرة ، ونهض (عادل) فى اهتمام شديد ، جعل (عصام) يسأله فى انفعال :

ـ هل لاحظت شيئًا ؟!

اقترب (عادل) كثيرًا من الشاشة ، وتطلّع فى

اهتمام بالغ إلى جزء من خلفية المشهد ، قبل أن يلتفت إلى خبير المونتاج ، قائلاً :

ـ هل يمكنك إعادة عرض الثوانى العشر الأخيرة ؟

بدا الزهو على وجه الخبير ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. هذه الأجهزة الحديثة يمكنها إعادة لقطة واحدة لو أردت .

قالها ، وهو يعيد عرض الجزء المطلوب ، فقال (عادل) بسرعة :

ـ اعرض ببطء أكثر .

ضغط الخبير أزرار الجهاز ، وبدأ عرض الفيلم بربع سرعته المعهودة ، وأشار (عادل) إلى ذلك الجزء الخلفى ، قائلاً لـ (عصام) :

ـ انظر .. هناك .. خلف هؤلاء الأطفال .

تطلّع (عصام) و (نهلة) والخبير إلى ذلك الجزء ، الذى يشير إليه (عادل) ، قبل أن يرتفع حاجبا الأوّل بدهشة بالغة ، هاتفًا :

ـ ربّاه !.. من يتوقّع هذا ؟!

ففى ذلك الجزء ، كان يبدو فى وضوح رجل مفتول العضلات ، قوى البنية ، ينحنى لالتقاط سترة الرجل ، دون أن يشعر به الحاضرون ، الذين انشغلوا بمتابعة

ما أصاب صاحبها ..

وفى انفعال ، هتف خبير المونتاج :

ـ رباه !.. كيف لاحظت هذا ؟!

أشار إليه (عادل) بيده ، مجيبًا ، وهو يتابع العرض البطىء :

ـ مهنتى كانت ومازالت تعتمد على دقة الملاحظة وسرعة الاستنتاج .

لم يفهم الرجل ما يعنيه هذا بالضبط ، ولكنه أومأ برأسه ، مغمغمًا :

ـ آه ..

وعاد الصمت يلفّ المكان ، والأربعة يتابعون ما يحدث فى اهتمام ، والرجل الذى التقط السترة يحملها تحت إبطه ، ويغادر المكان فى خطوات سريعة ، حتى يختفى خارجه ، وبعدها تعبر أمام مدخل القرية سيارة (بى . إم . دابليو) زرقاء ، يقودها الرجل نفسه ، فهبّ (عصام) من مقعده ، هاتفًا :

ـ ها هى ذى السيارة الزرقاء .. لقد استولى عليها الرجل أيضًا .

انعقد حاجبا (عادل) فى شدة ، وهو يقول :

ـ السؤال الآن هو لماذا ؟! لماذا فعل هذا ؟!

أجابته (نهلة) بسرعة :

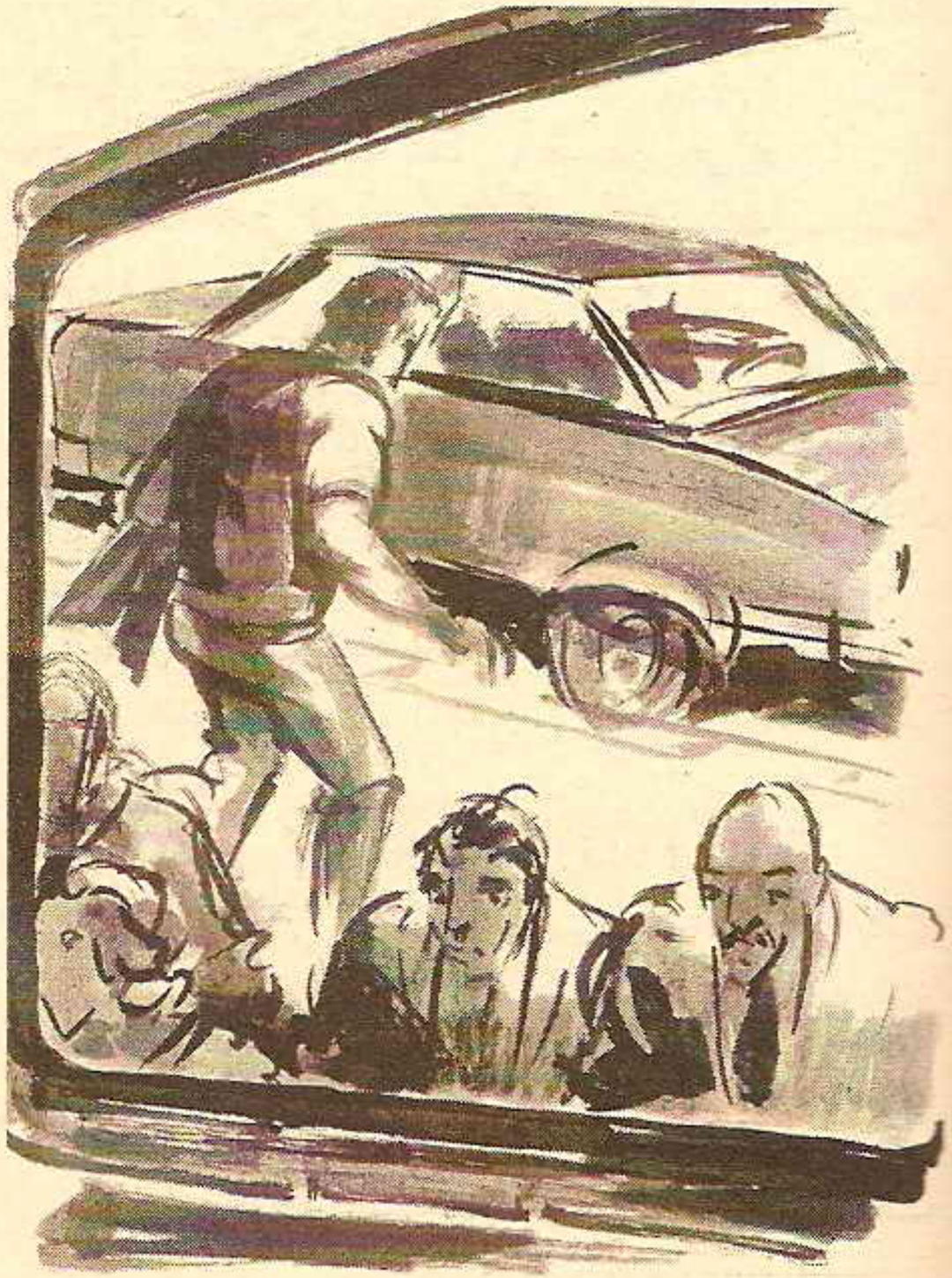

والرجل الذى التقط السترة يحملها تحت إبطه ، ويغادر المكان فى خطوات سريعة . .

ـ الأمر واضح للغاية .. إنه لص ، رأى البطل يسقط ، فسرق سترته وسيارته .

هزَّ (عادل) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ كنت أتمنى أن يكون الأمر بهذه البساطة يا آنسة (نهلة) ، ولكنه لا يبدو لى كذلك أبدًا .. هذا الرجل لا يبدو لى مجرَّد لص عادى ، ثم إننا ما زلنا نجهل لماذا كان ذلك البطل ينتظر فى سيارته ، عند سور قرية الأطفال ؟!.. ما الذى انتظر حضوره ؟! أو من الذى كان ينتظره ؟! ولماذا ؟!

مطَّت (نهلة) شفتيها ، وغمغمت :

ـ أهنئك يا أستاذ (عادل) .. لقد جعلت الموقف معقَّدًا بالفعل .

ورفع خبير المونتاج سبَّابته ، قائلاً فى حزم :

ـ أراهن على أن كشف الغموض ، المحيط بذلك الرجل ، لن يكون أبدًا بالأمر السهل ؛ فمن الواضح أنكم لا تملكون أى طرف خيط ، يمكن أن يقود إليه .

أومأ (عصام) برأسه موافقًا ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .. لسنا نملك أى طرف خيط فى الوقت الحالى ..

ثم انعقد حاجباه ، وهو يستدرك :

ـ إلا إذا ..

سأله (عادل) فى اهتمام بالغ :

ـ إلا إذا ماذا ؟!

أشار (عصام) بيده ، مجيبًا فى حزم :

ـ إلا إذا كان الطب الشرعى قد توصَّل إلى أمر ما ..

ارتفع حاجبا الخبير ، وهو يغمغم :

ـ الطب الشرعى ؟!

قفز (عصام) إلى الهاتف ، والتقط سمَّاعته ، مجيبًا :

ـ بالطبع ، فالوفاة الغامضة لذلك البطل حتَّمت قيام الطب الشرعى بتشريح جثته ، فى محاولة لتحديد سبب الوفاة ، الذى يطالب الرأى العام بمعرفته ، ومن المؤكَّد أن الأطباء الشرعيين سيحدِّدون أيضًا عمر الرجل ، ومهنته ، والأمراض التى يعانيها ، وفصيلة دمه ، وكل المعلومات الأخرى ، التى يستطيع الطب الشرعى التوصُّل إليها ، فى هذه الأيام(*) ، وكل معلومة من

(*) طبقًا لأحدث ما توصَّل إليه علم الطب الشرعى ، يمكن الآن تحديد عمر الشخص ، وجنسيته ، وطبيعة مهنته ، وكل الأمراض التى عاناها فى حياته ، وكذلك تحديد مقاييسه ، وملامح وجهه ، فى حالة الحصول على عظمة واحدة منفردة من هيكله العظمى ، بعد أكثر من مائة سنة من وفاته (حقيقة علمية) .

هذه يمكن أن تفيدنا فى البحث عن هويته .

هتفت (نهلة) فى انبهار :

ـ حقًا ؟!

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وهو يقول عبر الهاتف :

ـ مساء الخير يا دكتور (على) .. كيف حالك .. أنا (عصام كامل) ، أتحدَّث إليك بسبب حادث قرية الأطفال الشهير .. نعم .. أريد معرفة ما توصَّلتم إليه ، بشأن البطل الشهيد .. آه .. بالتأكيد .. سبب الوفاة يهمنى ، و ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى شدة ، ومال بوجهه إلى الأمام ، وهو يصرخ فى دهشة لا محدودة :

ـ ماذا ؟ رصاصة ؟!

ومع صرخته ، انتفضت أجساد الجميع فى عنف ، وبدهشة أقرب إلى الذهول ..

أو هو الذهول نفسه ..

فقد كان هذا آخر أسباب وفاة يمكنهم توقّعها ..

آخرها على الإطلاق .

★ ★ ★

٣ ـ الغموض ..

خيم صمت عنيف ثقيل على سيارة (عصام) ، وهو يقودها فى طريق العودة ، وإلى جواره (عادل) ..

لم يكن الذهول قد فارقهما بعد ، منذ تأكَّدا من السبب الحقيقى لموت البطل ، كما حدَّده الطب الشرعى ..

رصاصة أُطلقَتْ من بعيد ، بوساطة بندقية صيد ، مزوَّدة بمنظار مقرِّب على الأرجح ، واخترقت صدر الرجل المجهول ، فى موضع القلب تمامًا ..

ومثل هذه الإصابة لا يمكن أن تحدث إلا بوساطة قاتل محترف ..

ومن طراز خاص للغاية ..

وهذا يعنى أن الأمر ليس بسيطًا بالفعل ..

هناك أمر غامض ، خلف ذلك الرجل المجهول ..

أشهر مجهول فى (مصر) ..

وأمام منزل (عادل) ، توقَّف (عصام) ..

ولكن (عادل) لم يغادر السيارة ..

ولم ينطق بحرف واحد ..

وحتى (عصام) لم يفعل ..

الاثنان ظلا صامتين شاردين داخل السيارة ، لفترة امتدَّت إلى دقيقتين وبضع ثوان ، قبل أن يقطع (عادل) هذا الصمت ، قائلاً فى حزم :

ـ يبدو أن القدر قد وضع أمامنا قضية العمر يا صديقى .

تنهَّد (عصام) ، مجيبًا :

ـ بل قل : إنها مشكلة العمر يا رجل ؛ فالملايين الذين سيقرءون صحف الغد ، والذين قرءوها بالفعل الآن(*) ، يتوقَّعون أن تحمل إليهم الصحف التفاصيل الكاملة ، وفى مقدَّمتها اسم البطل المجهول ، وهويته ، وعندما يفتقدون هذا ، ستمتلئ نفوسهم بالغضب ، وسيطالبون بكشف التفاصيل ، والإفصاح عنها ، مما سيستفز رئيس التحرير بالتأكيد ، ويدفعه لمطالبتى ببذل المزيد من الجهد ، و ..

قاطعه (عادل) فى صرامة :

ـ ليست هذه هى المشكلة .

التفت إليه (عصام) مستنكرًا ، فتابع بنفس الصرامة :

(*) تصدر الصحف فى (القاهرة) فى ساعة متأخرة من الليل ، بالنسبة للطبعات الأولى منها .

ـ إننا أمام حالة عجيبة ، تفيض حتى قمتها بالغموض ، وتفوح منها رائحة التناقض والغرابة ، فالرجل قام بعمل بطولى ، قبل أن يلقى مصرعه برصاصة قنَّاص محترف ، وفى الوقت ذاته سرق أحدهم سيَّارته وسترته عمدًا ، فى محاولة لمنعنا من كشف هويته ، وهذا لا يمكن أن يحدث بالنسبة لشخص عادى .. والسؤال الحقيقى هنا هو لماذا حدث كل هذا ؟! ومن ذلك الرجل الذى لقى مصرعه فى عمل بطولىٍ كهذا ؟! صدقنى يا (عصام) .. الأمر لن يكون سهلاً أبدًا .

غمغم (عصام) :

ـ أنا لم أقل هذا .

ثم تابع فى حماس عجيب :

ـ ولكننا لم نفقد وسائل كشف هويته بعد .. إنه رجل لقى مصرعه ، ومن المؤكَّد أن له عائلة ، أو أقارب ، أو حتى أصدقاء ، وسيفتقده شخص ما حتمًا ، ويبلغ عن غيابه ، وأعتقد أن عملك السابق فى صفوف الشرطة ، يتيح لك فرصة حصر بلاغات الغياب ، وبالذات تلك التى تحمل أوصافًا قريبة من أوصاف الرجل .

سأله (عادل) فى اهتمام :

ـ وماذا عنك أنت ؟!

أشار (عصام) بسبَّابته ، قائلاً بنفس الحماس :

ـ سأقوم بدورى بالتأكيد .. سألتقط صورة للرجل فى المشرحة ، وأنشرها فى صدر الصفحة الأولى بالجريدة ، وأطالب كل من يتعرَّفه بكشف كل ما لديه من معلومات عنه .

أجابه (عادل) ، وقد انتقلت إليه عدوى الحماس :

ـ رائع .. هكذا يكون العمل .. لقاؤنا صباح الغد يا صديقى .

تمتم (عصام) ، و (عادل) يغادر سيارته :

ـ بإذن اللَّه .

وانتظر حتى صعد (عادل) إلى منزله ، ثم انطلق بسيارته ، عائدًا إلى منزله ..

ومن خلفه ، تمتم أحد رجلين ، يجلسان داخل سيارة قوية ، عند ناصية الشارع :

ـ هل نتبعه ، أم نصعد إلى حيث يقيم رجل الشرطة السابق ؟!

صمت الآخر لحظة ، قبل أن يمطّ شفتيه ، مجيبًا :

ـ بل اتبعه .

أدار الأوَّل محرِّك السيارة ، وانطلق بها خلف سيارة (عصام) ، وهو يسأل الثانى فى احترام واضح ، يشفّ عن مكانته أو موقعه :

ـ أيهما أكثر خطورة فى رأيك .. الصحفى أم رجل الشرطة ؟!

تنهَّد الثانى ، مجيبًا :

ـ كلاهما يمثِّل خطورة من زاويته ، فالمعلومات التى لدينا ، تؤكِّد أن الصحفى عنيد للغاية ، ويمتلك قدرًا مدهشًا من الإصرار ، والرغبة فى تحدّى الغموض ، والسعى خلف الحقيقة ، فى حين أن رجل الشرطة السابق قوى وبارع ، وخبير ، ولديه عقلية استنباطية مدهشة ، يمكنها أن تقوده إلى كشف الحقيقة .

ارتفع حاجبا الأوَّل ، قبل أن يعقدهما ، مغمغمًا :

ـ ستكون كارثة لو فعل .

تمتم الثانى ، ملوِّحًا بيده :

ـ بالتأكيد .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يتابع فى صرامة :

ـ لهذا سنتولَّى أمر رجل الشرطة أوَّلاً ، لو تعقَّدت الأمور .

وافقه الأوَّل بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ إننى أتفق معك فى هذا يا سيِّدى ، و ..

قاطعه الثانى بغتة :

ـ مهلاً .. ماذا يفعل هذا الصحفى ؟!

كان (عصام) قد زاد من سرعته بغتة ، وانحرف إلى شارع جانبى ، فاعتدل الرجل الثانى ، وأشار بيده فى توتر ، مستطردًا :

ـ ضاعف سرعتك يا رجل .. الحق به .

ضغط الأوَّل دوَّاسة الوقود ، وزاد من سرعة سيارته ، وهو ينطلق خلف (عصام) ، ثم ينحرف إلى الشارع نفسه ، و ..

وقفزت قدمه تضغط الفرامل بكل قوته ، فتوقَّفت السيارة فى عنف ، وإطاراتها تطلق صريرًا مزعجًا فوق الأسفلت ..

هذا لأن سيارة (عصام) كانت متوقِّفة فى منتصف الطريق ..

وخالية ..

لم يكن (عصام) داخلها ..

أو حولها ..

ولثوان ، انعقدت حواجب الرجلين فى توتر بالغ ، وكلاهما يحدِّق فى السيارة الخالية ، قبل أن يدفع الأوَّل

بابه ، قائلاً فى عصبية :

ـ هذا الصحفى يعبث بنا .. لقد انتبه إلى أننا نتبعه .

غادر الثانى السيارة بدوره ، مغمغمًا فى ضيق :

ـ وهذا يعنى أننا لم نؤد عملنا كما ينبغى .

وقفا لحظة ، يواصلان تطلّعهما إلى السيارة ، ثم اتجها نحوها فى حذر ، والثانى يتلفَّت حوله ، متمتمًا :

ـ ولكن لماذا غادر السيارة ؟! كان يمكنه أن يواصل طريقه ، حتى آخر هذا الشارع القصير ، ويفرّ من مطاردتنا له .

قال الأوَّل فى غضب :

ـ إنه يسخر منا ، أو يسعى لتحدينا ، أو ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انفتح الباب الخلفى للسيارة بغتة فى عنف ، وارتطم به فى قوة ، قبل أن يثب (عصام) من دوَّاسة المقعد الخلفى ، هاتفًا :

ـ كنت واثقًا من أنكما تتبعانى .

سقط الرجل على ظهره إثر الضربة القوية ، فقفز (عصام) نحو زميله ، مستطردًا فى حدة :

ـ والسؤال هو لماذا ؟!

قالها ، وهو يهوى بقبضته على فك الرجل ، الذى مال بحركة بارعة ، متفاديًا اللكمة ، وهو يجيب :

ـ لن تعرف أبدًا .

ثم أطلق قبضته هو فى سرعة وخفة ؛ لتغوص فى معدة (عصام) ، الذى أطلق شهقة قوية ، قبل أن ترتطم القبضة الثانية بفكه ، وتلقى به إلى الخلف فى عنف ؛ ليرتطم بجسم السيارة ، والرجل يتابع :

ـ ما لم نرغب نحن فى هذا .

كانت اللكمات مؤلمة ، منتقاة ، على نحو يشفّ عن قوة صاحبها وبراعته ، وخبرته فى هذا المضمار ، حتى إن (عصام) شعر بالندم ؛ لأنه اختار المواجهة المباشرة على هذا النحو ، ولكن عناده دفعه مرة ثانية نحو الرجل ، وجعله يطوّح بقبضته فى وجهه ، صائحًا :

ـ لا أحد يمكنه إخفاء الحقيقة .

استقبل الرجل اللكمة على ساعده ، وهو يقول فى شىء من السخرية :

ـ هل تعتقد هذا ؟!

ثم كال له لكمة أخرى كالقنبلة ، أسقطته أرضًا فى عنف ، لتستقبله ركلة من الرجل الأول ، وهو يقول فى غضب :

ـ غرورك الصحفى وحده ، يصوِّر لك العكس .

كانت الركلة عنيفة للغاية ، حتى إنها أدارت رأس (عصام) فى قوة ، وجعلت الرؤية أمامه مشوَّشة ، مما جعله يدرك أنه فى طريقه لفقدان وعيه ، وخاصة عندما عجز عن النهوض ، على الرغم من أن الرجل الأوَّل انتزع مسدسه من غمده ، وصوَّبه إليه ، قائلاً فى حدة :

ـ هل تعلم ما أرغب فيه الآن ؟! أن أنسف رأسك العنيد هذا برصاصة مباشرة ، حتى أبعدك عن قضية الرجل المجهول ، و ..

ولم يسمع (عصام) باقى الحديث ..

لقد حدث ما توقَّعه بالضبط ..

وفقد وعيه ..

فقده ، والمسدس ما زال مصوَّبًا إلى رأسه ..

مباشرة ..

★ ★ ★

لم ينجح النوم لحظة واحدة ، فى التسلُّل إلى عينى (عادل محمود) ، وهو يرقد على فراشه ، مغمض العينين ، لأكثر من ساعة كاملة ..

كان عقله يراجع الموقف ، ويدرسه ، ويفنِّده عشرات المرات بلا توقُّف ..

هذا لأنه لم يشعر بارتياح قط ، فى مواجهة الغموض ..
وهذا الموقف مشبَّع به حتى النخاع ..
والسؤال فى رأيه لم يعد يتعلّق بهوية الرجل ..
وإنما بمصرعه ..
من أطلق عليه تلك الرصاصة ؟!
ولماذا ؟!
أهو نوع من تصفية الحسابات بين العصابات ؟!
أم هو اغتيال صريح ؟!
ولكن الرجل كان ينتظر شيئًا ما ، إلى جوار سور قرية الأطفال ..
أو شخصًا ما ..
وربما جاء مصرعه لهذا السبب ..
أو بيد ذلك الشخص ..
من يدرى ؟!
فتح عينيه هذه المرة ، بعد ساعة كاملة من محاولة النوم ، وقد أدرك أن عقله الحائر المتيقّظ لن يقبل فكرة النوم قط ..
مهما بذل من جهد ..
وظلّ (عادل) مستلقيًا فى فراشه ، ومعتمدًا برأسه على ذراعيه ، وعيناه تحدقان فى سقف الحجرة فى

شرود ، وعقله يسترجع كل المعلومات ..
وكل المشاهد ..
استرجع تفاصيل ما قام به الرجل ، ولحظة مصرعه ، و ..
وفجأة ، توقّف عقله عند مشهد واحد ..
مصرع الرجل ..
وراح ذهنه يسترجع تلك اللحظة مرات ومرات ..
لقد كان يقف مبتسمًا ، فى مواجهة السور الشرقى لقرية الأطفال ، عندما أصابته تلك الرصاصة ، فارتدّ فى عنف ، ثم سقط جثة هامدة ..
وهذا يعنى أن الرصاصة قد انطلقت من مكان ما ، وسط البنايات المطلّة على السور الشرقى للقرية ..
انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يسترجع الصورة للمرة الأخيرة ، قبل أن يقفز من فراشه ، ويرتدى ثيابه على عجل ، ثم يغادر منزله ، فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ، ويستقلّ سيارته ، منطلقًا إلى هناك ..
إلى قرية الأطفال ..
لم يدر كم استغرق منه الطريق ، قبل أن يصل إلى هناك ، لأنه لم يتوقّف لحظة واحدة عن لوم نفسه طوال الوقت ..

كيف لم ينتبه إلى هذه الحقيقة البسيطة منذ البداية ؟!

القاتل أطلق رصاصته حتمًا من تلك البنايات ..

وربما مازال يقيم فيها ، حتى هذه اللحظة ..

صحيح أن هذا يتنافى مع أبسط قواعد المنطق والحذر ، ولكن عمله الطويل فى المباحث الجنائية ومباحث أمن الدولة ، علّمه أن المنطق ليس الصفة السائدة أو المهيمنة ، على معظم الأفعال الإجرامية أو العنيفة ..

وفى هذه الحالة ، إما أن يكون القاتل قد أطلق رصاصته من سطح أحد المبانى ، أو من نافذة إحدى الشقق المطلّة على المكان ..

وفى الحالة الثانية ، إما أن يكون قد استأجر شقة مفروشة لمدة محدودة ، أو أنه يمتلك ، أو يستأجر شقة ثابتة دائمة فى المكان ..

وفى كل الأحوال ، سيكون هناك حتمًا من رآه ..

أو حتى لمحه ..

وفى كل الأحوال سيكون هناك طرف خيط ..

وهذا كل ما تحتاج إليه القضية ، فى الوقت الحالى ..

بلغت أفكاره هذا الحد ، وهو يوقف سيارته إلى جوار سور قرية الأطفال ، التى شهدت كل تلك الأحداث ، منذ

ساعات قلائل ، ويهبط منها ؛ ليتطلّع إلى البنايات الثلاث ، التى تواجه سورها الشرقى ..

لم يكن ارتفاع البنايات يزيد على أربعة أدوار فى تلك المنطقة ؛ لقربها من مطار (القاهرة) ، وبنظرة خبيرة ، وبقياس ارتفاع سور القرية ، أدرك (عادل) أنه لإصابة الرجل ، فى ذلك الموضع ، الذى تلقّى فيه الرصاصة ، يتحتّم على القاتل أن يقف فى الطابق الرابع ، أو فوق السطح ، من إحدى البنايات الثلاث ..

وهذا يختصر عملية البحث كثيرًا ..

ولكن (عادل) لم يكتف بهذا الاختصار ..

لقد أطلق لعقله العنان ، وهو يتطلّع إلى البنايات الثلاث فى تفكير عميق ..

كانت للبناية الوسطى شرفة واسعة كبيرة ، اصطف فيها طاقم من المقاعد مع منضدة بسيطة ، على نحو يصبح من المحتّم معه أن يحمل القاتل بندقيته ، ويصوّبها إلى ضحيته فى وضح النهار ، على نحو سافر مستفز ، لا يتناسب مع عمل كهذا ؛ لذا فقد استبعد (عادل) تلك الشقة فى الطابق الرابع من البناية الوسطى ، وانتقل ببصره إلى البناية اليمنى ، التى تحوى بدورها شرفة كبيرة ، تميل على شكل حرف

(L) ، بحيث ينطبق عليها نفس ما ينطبق على شقة البناية الوسطى ..

أما شقة الطابق الرابع ، فى البناية اليسرى ، فقد بدت له مناسبة تمامًا ..

كانت لها أيضًا شرفة واسعة ، ولكن أصحابها أضافوا إليها بعض أعمدة الألومنيوم(*) ، وأغلقوها بألواح من الزجاج شبه المعتم ، ذى السطح أحادى الانعكاس ، الذى يسمح لمن بالداخل برؤية ما يحدث فى الخارج ، مع استحالة حدوث العكس ..

وتوقَّف (عادل) طويلاً ، عند ذلك المشهد ..

لقد بدت له تلك الشقة ، فى الطابق الرابع ، من البناية اليسرى ، مكانًا مثاليًا للمراقبة ..

ولإطلاق النار لو اقتضى الأمر ..

هذا لو استبعدنا الأسطح ..

وهذا ما يميل إليه كثيرًا ..

(*) الألومنيوم = عنصر فلزى أبيض فضى ، رمزه (لو) ، وهو ثالث العناصر انتشارًا ، إذ تحوى القشرة الأرضية ١٥٪ منه ، وهو موصِّل جيد للحرارة والكهرباء ، قابل للطرق والسحب ، يمتازبخفة وزنه ، ومقاومته للتآكل لذا فهو يستخدم فى صناعة الطائرات ، والسيارات ، والأوانى المنزلية ، وبعض المبانى الحديثة .

فعندما يطلق قاتل محترف النار ؛ ليصيب هدفًا حيًا ، فى وضح النهار ، لن يميل حتمًا إلى اختيار سطح مكشوف ..

وهذا يعنى أن دائرة البحث قد تحوَّلت إلى سهم يشير إلى هدف محدود ..

البناية اليسرى ..

الطابق الرابع ..

والشقة ذات الزجاج أحادى الانعكاس بالتحديد ..

وفى أعماقه ، ارتسمت ابتسامة واسعة ، لم يسمح لها بالطفو على شفتيه ، وهو يتجه نحو البناية اليسرى فى ثقة وحزم ..

وفى نفس اللحظة التى تحرَّك فيها ، غمغم رجل ضخم الجثة ، من خلف الزجاج أحادى الانعكاس ، فى البناية اليسرى :

ـ إنه يتجه إلى هنا .

مطَّ رجل نحيل شفتيه ، وقال فى شىء من العصبية :

ـ كان ينبغى أن نتوقَّع هذا .. لقد أخبرتكم أن ظهور ذلك الرجل فى الصورة ، يعنى أن الخطر يتضاعف .. لقد سبق لى التعامل معه ، منذ عدة سنوات ، وأدرك جيدًا كيف يفكِّر ويتصرَّف .

سأله الضخم فى قلق :

ـ هل تعنى أنه كشف الأمر ؟!

أومأ النحيل برأسه إيجابًا ، وغمغم :

ـ ليس لدى أدنى شك فى هذا .

انعقد حاجبا الضخم فى شدة ، واستلّ من جيب سترته مسدسًا ضخمًا ، جذب مشطه ، وتركه يرتدّ فى قوة ، بذلك الرنين المعدنى العنيف ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ فى هذه الحالة ..

استوقفه رجل ثالث فى صرامة ، وهو يقول :

ـ كلاَّ .. لا نريد واقعة قتل أخرى .. الشرطة ستعجز حتمًا عن تحديد موقع إطلاق النار ، ولن يمكنها توجيه أدنى اتهام لنا ، ولكن لو أننا قتلنا هذا الرجل ، ستقوم الدنيا ولا تقعد ، وسنكون قد منحنا الشرطة والسلطات هنا مبرّرًا كافيًا للانقضاض علينا .

ابتسم النحيل فى سخرية ، وهو يقول :

ـ ألا تعتقد أننا قد منحناهم ذلك المبرّر بالفعل ، عندما أطلقنا النار على ذلك الرجل ؟!

انعقد حاجبا الرجل الثالث ، وقال فى صرامة :

ـ أنت تعلم أن هذا كان حتميًا ، بعد أن أوشك على كشف أمرنا .

قال النحيل بنفس السخرية :

ـ كان يمكننا أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انقضّ عليه الرجل الثالث فى عنف ، وقبض على « ياقة » سترته بأصابعه ، وهو يدفعه أمامه ، حتى ضربه بالجدار فى قوة ، وصاح فى وجهه ، وهو يتطلّع إلى عينيه مباشرة بنظرة صارمة ، غاضبة ، مخيفة :

ـ إيّاك أن تفعل هذا ثانية !.. إيّاك أن تسخر من أوامرى وقراراتى ، أو تجرؤ حتى على مناقشتها .. هل تفهم ؟!

أطلّ ارتياع واضح من عينى النحيل ، وهو يتمتم :

ـ بالتأكيد أيها الزعيم .. بالتأكيد .. إننى .. إننى أعتذر .

تطلّع الزعيم إلى عينيه بضع لحظات ، بنفس النظرة المخيفة ، ثم دفعه جانبًا فى قسوة ، وعدّل رباط عنقه ، قبل أن يقول فى صرامة شديدة :

ـ لست أعتقد أن ذلك الشرطى السابق سيجرؤ على دق بابكم ، فى هذه الساعة المتأخرة ، خاصة وأنه لم يعد يعمل فى المباحث الجنائية بصفة رسمية ، وليس لديه دليل مادى واحد يدعم استنتاجه .. كل ما سيفعله

على الأرجح ، هو أن يتأكّد من رقم الشقة وموقعها ، حتى يمكنه العودة إليها فى وقت لاحق ، أو إبلاغ رجال الشرطة الرسميين عنها ، و ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق فجأة رنين جرس الباب ، فانعقد حاجبا الزعيم ، واحتقن وجهه فى شدة ، فى حين تمتم النحيل :

ـ لقد جرؤ .

نطقها بشىء من السخرية ، جعل الزعيم يلتفت إليه فى غضب وصرامة ، فانكمش فى مكانه ، مكملاً بلهجة حاول أن يجعلها ساخطة محنقة :

ـ يا له من وغد !

أما الضخم ، فعاد يستلّ مسدسه من غمده ، قائلاً فى توتر :

ـ والآن ، ماذا نفعل أيها الزعيم ؟! هل نتجاهل الرنين ؟!

ازداد انعقاد حاجبى الزعيم ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لن يجدى هذا ، فلا ريب فى أنه قد لمح الضوء ، عبر الفراغ الضيق أسفل الباب ، وهو يدرك الآن أن شخصًا أو بعض الأشخاص فى الداخل ، وتجاهل الرنين يضاعف من شكوكه وإصراره .

غمغم النحيل :

ـ ومن يدرى ؟!.. ربما استخدم أسلوبه الخاص لفتح الباب .

قال الضخم فى حدة :

ـ فى هذه الحالة ، يمكننا اتهامه بالاقتحام والسرقة ، و ..

قاطعه الزعيم فى صرامة عصبية :

ـ صه يا رجل .. أعفنا من أفكارك الغبية .

انعقد حاجبا الضخم ، ومطّ شفتيه فى غضب معترض ، فى حين ارتفع رنين جرس الباب ثانية ، فقال النحيل فى توتر :

ـ لا يمكننى فتح الباب ، فهو سيتعرّفنى فور رؤيتى .. أخبرتكما أنه ألقى القبض علىّ ذات مرة .

أجابه الزعيم فى صرامة :

ـ وأنا لن أسمح له برؤية وجهى لحظة واحدة .

ثم التفت إلى الضخم ، مستطردًا :

ـ افتح الباب .

انتفض جسد الضخم ، وهتف مستنكرًا .

ـ أنا ؟!

أجابه الزعيم فى صرامة أكثر ، وهو يتجه إلى حجرة جانبية :

ـ نعم .. أنت .. هيا .

قالها ، وأغلق باب الحجرة خلفه ، فهزّ النحيل كتفيه ، واختفى خلف عمود ضخم ، وهو يقول للضخم :

ـ لقد سمعت ما أمر به الزعيم .. هيا .. افتح الباب .

عقد الضخم حاجبيه ، ومطّ شفتيه مرة أخرى ، ثم تنحنح ، واتجه نحو الباب مباشرة ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها رنين الجرس للمرة الثالثة ..

وفتح الضخم الباب ..

فتحه بحركة حادة ، جعلت (عادل محمود) يرفع حاجبيه لحظة ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة خبيثة ، ويقول :

ـ معذرة ، لو أننى أزعجتكم ، فى هذا الوقت المتأخّر .

أجابه الضحم فى خشونة :

ـ لقد أزعجتنا بالفعل .. إن الساعة الثالثة إلا الربع صباحًا .

كان الضخم يتحدّث ، و (عادل) يفرزه بسرعة ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، بنظرة فاحصة خبيرة ، يندر أن تفلت لمحة واحدة ..

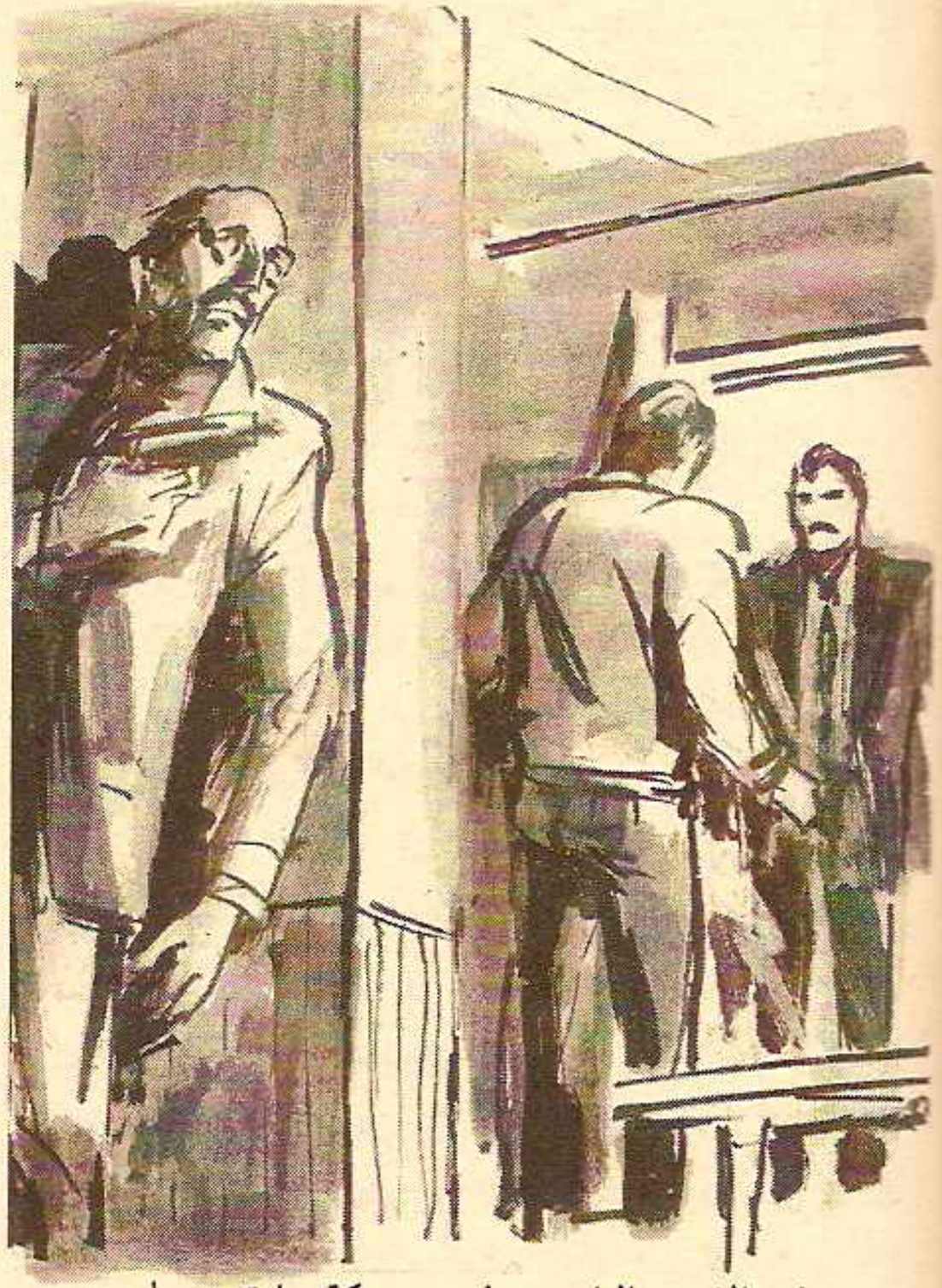

وفتح الضخم الباب .. فتحه بحركة حادة ، جعلت (عادل محمود) يرفع حاجبيه لحظة ..

وبسرعة ، أدرك (عادل) أن الضخم يخفى مسدسًا كبيرًا ، تحت سترته الضيقة ، ولمح ذلك الظل الممتدّ ، لشخص يختفى خلف العمود الكبير ، فى منتصف الردهة ، ولكنه لم يبد أدنى معرفة بالأمرين ، وهو يقول للضخم :

ـ معذرة مرة أخرى ، ولكننى كنت واثقًا من أنكم مستيقظون ، و ..

قاطعه الضخم فى حدة :

ـ خطأ .. لقد أيقظتنى من أعمق أعماق نومى .

رفع (عادل) حاجبيه بدهشة مصطنعة ، وهو يقول فى سخرية :

ـ وكنت تنام بحلتك كاملة ؟!

التقى حاجبا الضخم فى شدة ، وقال فى عصبية ، وهو يتراجع خطوة إلى الخلف ، ويرفع يده إلى موضع المسدس ، تحت سترته :

ـ ليس هذا من شأنك أيها الـ ..

ولم يسمح له (عادل) بإتمام عبارته ..

لقد أدرك على الفور أن الرجل غير مؤهَّل لتلك المناورات الكلامية ..

وأنه لا يفهم سوى أسلوب واحد ..

القتال ..

لذا فقد منح نفسه زمام المبادرة ، و ..

وانقضّ ..

وقبل أن يسحب الضخم مسدسه ، قفز (عادل) يركله فى صدره بكل قوته ، ويدفعه داخل الشقة ، ثم انقضّ عليه ، وكال له لكمتين متتاليتين ، فى أنفه وفكه ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها النحيل من خلف العمود ، وسحب مسدسه بالفعل ..

وبحركة بارعة سريعة ، اعتمد (عادل) براحتيه على كتفى الضخم ، قبل أن يسقط أرضًا ، وقفز يركل مسدس النحيل بقدمه اليمنى ، وأنفه بالقدم اليسرى ..

وقبل حتى أن يسقط النحيل ، تعرَّف (عادل) ملامحه ، فقفز يتلقّفه من ياقته ، ويجبره على الوقوف على قدميه ، وهو يقول فى صرامة مخيفة :

ـ من أطلق النار على الرجل .

حاول النحيل أن يقول شيئًا ، على الرغم من الدماء الغزيرة ، التى تسيل من أنفه إلى شفتيه ، ولكن عينيه اتسعتا بغتة ، وهو يحدّق فى مرآة صغيرة أمامه ، فالتفت إليها (عادل) بحركة غريزية ، وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما لمح يدًا تمسك مسدسًا ضخمًا ، وتطلّ

من الحجرة الجانبية ، و ..

وانطلقت من المسدس رصاصة ..

وشعر (عادل) بألم شديد فى صدره ، والرصاصة تدفعه أمامها ، ليرتطم بالعمود فى منتصف الصالة فى عنف ، ثم يسقط أمامه دون حراك ..

ومن صدره ، حيث الإصابة ، تدفَّقت الدماء فى غزارة ..

دماء الحياة ..

★ ★ ★

٤ ـ دائرة الضوء ..

« أستاذ (عصام) .. استيقظ يا أستاذ (عصام) .. »

تسلَّلت العبارة إلى أذنى (عصام) ، وهو يستعيد وعيه فى بطء ، فبذل جهدًا ليفتح عينيه ، ويحدِّق فى وجهى ضابطى شرطة ، يتطلَّعان إليه فى قلق ، وغمغم بصوت يحمل إرهاق الدنيا كلها :

ـ أين أنا ؟!

مدَّ له أحدهما يده ؛ ليعاونه على النهوض ، وهو يجيب :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا أستاذ (عصام) .. أنت هنا فى شارع جانبى ، كنت فاقد الوعى ، و ..

قاطعه (عصام) ، هاتفًا فى دهشة :

ـ فاقد الوعى ؟! فقط .

تبادل ضابطا الشرطة نظرة دهشة ، قبل أن يغمغم أحدهما :

ـ ماذا يمكن أن يحدث أسوأ من هذا ؟!

أشار إلى منتصف جبهته ، مجيبًا فى شىء من التوتر :

ـ رصاصة فى الرأس .

بدت الدهشة أكثر على وجهى الضابطين ، وخُيِّل إليهما أنهما يواجهان رجلاً مجنونًا ، فتمتم أحدهما مكرِّرًا :

ـ رصاصة فى الرأس ؟!

أما الضابط الثانى ، فربَّت على كتف (عصام) ، قائلاً فى تعاطف حذر :

ـ أستاذ (عصام) .. نحن دورية شرطة رسمية .. هل ترغب فى أن نوصلك إلى مركز طبى ، أو مستشفى .. أو أى مكان آخر ؟!

هزَّ (عصام) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلا أشكرك .. يكفينى أننى نجوت ، وأن ..

بتر عبارته بغتة ، وهتف ، وهو يحدِّق فى سيارة الشرطة ، التى تقف عند الناصية :

ـ دورية شرطة ؟! كيف عثرتم علىَّ فى هذا الشارع الضيق ؟!

أجابه الضابط فى شىء من الحيرة :

ـ لم يكن هذا صعبًا .. لقد تلقينا بلاغًا بوجود الأستاذ (عصام كامل) ، الصحفى فى قسم أخبار الحوادث ، فاقد الوعى ، فى هذا الشارع ، فأتينا إليك على الفور .

انعقد حاجبا (عصام) ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـ تلقَّيتم بلاغًا ؟! ومن تقدَّم بهذا البلاغ ؟!

هزَّ الضابطان رأسيهما نفيًا ، وقال أحدهما :

ـ لسنا ندرى .. أى شخص يمكنه أن يتقدَّم ببلاغ لشرطة النجدة ، التى تتولَّى إبلاغ أقرب سيارة دورية .

ازداد انعقاد حاجبى (عصام) ، وهو يتمتم :

ـ آه .. فهمت .

وصمت لحظة ، ارتسمت على ملامحه خلالها علامات التفكير العميق ، قبل أن يقول فى هدوء عجيب ، بدا وكأنه يخفى عاصفة عاتية فى أعماقه :

ـ والآن ، وبعد أن أتقدَّم لكما بجزيل شكرى ، فهل يمكننى الانصراف ، أم أنه هناك إجراءات ينبغى اتباعها؟!

أجابه أحد الضابطين بسرعة :

ـ بل يمكنك الانصراف ، ما لم ترغب فى التقدُّم بشكوى ، أو فى عمل بلاغ خاص بفقدانك الوعى .

ارتسمت على شفتى (عصام) ابتسامة شبه ساخرة ، وهو يغمغم :

ـ آه .. كلاَّ .. لست أرغب فى هذا أو ذاك .. أشكركما ثانية .

وانطلق بسيارته عائدًا إلى منزله ، وعقله يدير الأمر

كله أكثر من مرة ..

من أبلغ الشرطة بوجودى فى ذلك الشارع الجانبى فاقد الوعى ؟!

ولماذا ؟!

ثم إنه رأى ، آخر ما رأى ، وقبل أن يفقد وعيه مباشرة ، رجلاً يصوّب إليه مسدسه ..

فلماذا لم يطلق النار ؟!

ولماذا تركه الرجلان على قيد الحياة ، على الرغم من أنه رأى وجهيهما جيدًا ، ويمكنه تعرّفهما فى أية لحظة ؟!

أحنقه ذلك الغموض ، المحيط بتلك القضية ، منذ بدايتها ، وحتى هذه اللحظة ، وتساءل فى حيرة عن السبب ، الذى يدعو رجلين لمهاجمته وإفقاده الوعى ، ثم الاتصال بالشرطة لإنقاذه !!

لماذا فعلا هذا ؟!

وما صلتهما بالقضية كلها ؟!

أهما المسئولان عن مصرع ذلك البطل المجهول ؟!

ولو أنهما كذلك ، فلماذا لم يواصلا مسلسل القتل معه ؟!

لماذا تركاه على قيد الحياة ؟!

ألقى نظرة على ساعة يده ، وهو يتوقّف أمام منزله ، وأدهشه أنها تشير إلى الرابعة والنصف صباحًا ، مما يعنى أنه قضى أكثر من ثلاث ساعات فاقد الوعى ، قبل أن يصل إليه رجال الشرطة ..

وهذا يعنى أيضًا أن الرجلين لم يبلغا الشرطة فور سقوطه ..

لقد تركاه فاقد الوعى لفترة طويلة ، قبل أن يرسلا رجال الشرطة لإنقاذه ..

فلماذا ؟!

مرة أخرى أحنقه ذلك الغموض ، المحيط بكل شىء ، فجلس داخل سيارته صامتًا ، يراجع الموقف كله أكثر من مرة ، ثم لم يلبث أن غمغم :

ـ لا فائدة يا (عصام) .. ينبغى أن تعترف بأن عقلك ليس مؤهّلاً للاستنتاج والاستنباط ، وكشف غموض الألغاز .. لا مفرّ من الاستعانة بعقلية العميد (عادل) ، أو عقلى (عماد) و (عُلا) .

وزفر فى ضيق ، وهو يغادر سيّارته ، ويصعد إلى منزله ، ولم يكد يدلف إليه ، حتى جذب انتباهه الوميض المتقطّع لجهاز الرد الآلى على الهاتف (الأنسر ماشين) ، فاتجه إليه ، وضغط زر الاستماع ، وهو يغمغم :

- بعضهم ترك رسائل عاجلة حتمًا .

كانت الرسالة المسجَّلة الأولى من خطيبته (نهلة) ، التى أصابها القلق بشأنه ، بعد أن غادر مبنى التليفزيون متوترًا مع (عادل) ، وتطلب منه الاتصال بها فور عودته ، والرسالة الثانية من زميل بالجريدة ، أما الرسالة الثالثة ، فقد أتت بصوت لم يسمعه منذ فترة طويلة ، يقول فى توتر ملحوظ :

- أستاذ (عصام) .. أتحدَّث إليك من مستشفى الشرطة بحى (العجوزة) .. أنا (عصمت) .. (عصمت فوزى).

ارتفع حاجبا (عصام) فى شدة ، عندما سمع الاسم ، وهتف :

- رباه !.. النقيب (عصمت) .. إننى لم ألتق به منذ عام كامل(*) .

ثم استمع فى اهتمام إلى صوت (عصمت) ، وهو يتابع :

- إننى أتحدَّث إليك بشأن العميد (عادل محمود) .. لقد عثرنا عليه مصابًا برصاصة فى صدره ، وهو الآن فى مستشفى الشرطة ، وسيجرى له الأطباء جراحة

(*) راجع (قضية انتحار مقاتل) .. القصة رقم (٤٩) .

عاجلة لإنقاذه .. حاول أن تأتى فور وصولك إلى المنزل .. أنا فى انتظارك .

انتهت المحادثة ، وقد اتسعت عينا (عصام) عن آخرهما ، وجفَّ حلقه ، ليكتم داخله شهقة ارتياع ، خرجت فى شكل حشرجة مختنقة ، وهو يتمتم :

- يا إلهى !.. (عادل) .

ودون أن ينطق بحرف إضافى واحد ، انطلق يغادر منزله كالرصاصة ، ويقود سيارته بسرعة جنونية إلى مستشفى الشرطة ، حتى إنه لم تمض ربع الساعة على سماعه الرسالة المسجَّلة ، حتى كان يعدو عبر ممر المستشفى ، حيث نهض النقيب (عصمت) لاستقباله ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- مهلاً يا (عصام) .. مهلاً .. سيادة العميد نجا والحمد لله .. لقد أجرى له الأطباء العملية بنجاح ، واستخرجوا الرصاصة من صدره ، ومن حسن حظه وحظنا أنها استقرَّت على مسافة سنتيمترين فحسب من الجدار الأيمن للقلب ، وإلا ..

قاطعه (عصام) فى انفعال :

- وكيف حاله الآن ؟!

أشار (عصمت) بيده ، مجيبًا :

ـ لقد نجا من الموت بمعجزة ، ولكنه سيظلّ فى حجرة العناية الفائقة ليومين على الأقل ، بعد كل ما فقده من الدماء .

انطلقت من أعمق أعماق (عصام) زفرة ملتهبة ، قبل أن يلقى جسده على أقرب مقعد إليه ، ويغمض عينيه لنصف دقيقة كاملة ، ثم لم يلبث أن سأل (عصمت) :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟!

جلس (عصمت) إلى جواره ، مجيبًا :

ـ يبدو أن سيادة العميد استطاع التوصُّل ، قبلنا كالمعتاد ، إلى المكان الذى أطلقت منه الرصاصة على ذلك المجهول ، وأنه اتجه إليه مباشرة ، ولا أحد يدرى ما الذى دار هناك بالضبط ، ولكننا تلقينا بلاغًا عن إطلاق النيران ، داخل واحدة من شقق المبانى ، المواجهة لقرية الأطفال ، وعندما ذهب أحد محققينا إلى هناك ، عثر على سيادة العميد (عادل) مصابًا برصاصة فى صدره ، ويمسك فى قبضته مسدسًا كبيرًا ، وعلى مقربة منه رجلان صريعان برصاصتين فى الرأس مباشرة ، أحدهما نحيل للغاية ، والآخر ضخم الجثة ، والمعمل الجنائى يبذل قصارى جهده الآن

لرفع بصماتهما ، وجمع الأدلة اللازمة ، لمعرفة ما حدث فى تلك الشقة .

غمغم (عصام) :

ـ إذن فقد اشتبك مع الرجلين ، وقتلهما ، عندما أطلقا عليه النار .

غمغم (عصمت) :

ـ هذا ما يوحى به الأمر من الوهلة الأولى .

ثم أضاف فى صرامة :

ـ ولكن ليس هذا ما حدث .

تطلّع إليه (عصام) فى دهشة ، قبل أن يسأله :

ـ وما الذى يجعلك واثقًا هكذا ؟!

أجابه (عصمت) فى حزم :

ـ سل نفسك : من منهما أطلق النار أوّلاً ؟! لقد أصيب سيادة العميد إصابة مباشرة فى صدره ، لست أظنه يبقى بعدها واعيًا ، وقادرًا على إصابة الرجلين فى منتصف جبهتهما ، بهذه الدقة ، ولست أظنهما أيضًا كانا قادرين على إصابته ، بعد أن استقرّت الرصاصة فى رأسيهما .. أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا (عصام) ، وهو يدير الأمر فى رأسه ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ بلى .. لا يمكن لأحدهم أن يطلق النار على الآخر .. وهذا يعنى حتمية وجود شخص رابع فى المكان .

أشار إليه (عصمت) بسَّبابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .. ولو أردت وجهة نظرى ، فأنا أعتقد أن هذا الشخص الرابع هو الذى أطلق النار على الجميع .. وأن المسدس الذى استخدمه ، هو نفسه الذى وضعه فى يد سيادة العميد .. وسيثبت الطب الشرعى نظريتى هذه ، عندما يكشف أن الرصاصة التى أصابت سيادة العميد ، قد انطلقت من المسدس نفسه ، الذى أطلق النار على الرجلين الآخرين .

أومأ (عصام) برسه ، وهو يغمغم بنفس الحزم :

ـ بالتأكيد .

ثم رفع عينيه إلى (عصام) ، مستطردًا :

ـ هل تعلم يا صديقى .. يبدو أن الغموض المحيط بقضية البطل المجهول هذا ، سيظل يتزايد ، ويتكاثف ، ما دمنا لم نضئ بعد ذلك المصباح ، القادر على تبديده .

قالها ، وهو ينهض من مقعده فى حسم ، فسأله (عصمت) فى قلق :

ـ إلى أين ؟!

ألقى (عصام) نظرة عبر النافذة ، على الشمس التى بدأت مرحلة الشروق ، وأطلّت بقرصها الذهبى من خلف مبانى العاصمة ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب :

ـ سأضىء المصباح ، نطقها وانطلق عبر ممر المستشفى فى خطوات واسعة قوية سريعة ..

لقد اتخذ قراره بمواجهة الغموض ، وإثبات أنه يستحق ذلك اللقب ، الذى اشتهر بحمله ، فى عالم مكافحة الجريمة ..

لقب (ع × ٢) ..

★ ★ ★

تثاءب عم (توفيق) فى إرهاق ، وهو يجلس إلى جوار (عصام) ، فى سيارة هذا الأخير ، وفرك عينيه فى قوة ، وأزاح آلة التصوير الخاصة به جانبًا ، وهو يسأل فى ضجر :

ـ هل لك أن تخبرنى يا أستاذ (عصام) ، لماذا انتزعتنى من فراشى ، فى هذه الساعة المبكرة ، وطلبت منى إحضار آلة التصوير ، وكل مستلزماتها ؟! أهى قضية جديدة ؟!

أجابه (عصام) فى حزم :

- بل هى نفس قضية أمس ، التى لم تُحسم بعد .. قضية أشهر مجهول فى (مصر) .

بعث الجواب شيئا من النشاط فى حواس عم (توفيق) ، فاعتدل فى مقعده ، يسأل فى اهتمام :

- هل استجدّ جديد بشأنها ؟!

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وقال :

- الليلة السابقة كانت حافلة بالأحداث يا عم (توفيق) ، ومليئة بالغموض ، ونحن فى طريقنا الآن للقيام بإجراء حاسم ؛ لكشف شىء من هذا الغموض الكثيف .

تضاعف نشاط عم (توفيق) واهتمامه ، وهو يسأل :

- وما هذا الإجراء بالضبط ؟! إلى أين نذهب يا أستاذ (عصام) ؟!

أجابه (عصام) بسرعة :

- إلى المشرحة .

تراجع (توفيق) فى عنف ، هاتفًا :

- المشرحة ؟!

أجابه (عصام) فى سرعة وحماس :

- نعم .. سنذهب إلى مشرحة (زينهم) ؛ لالتقاط بعض الصور الواضحة لوجه البطل ، ثم نتجه إلى التليفزيون ، و ...

قاطعه عم (توفيق) بهتاف مستنكر غاضب :

- هل انتزعتنى من فراشى ، فى السادسة إلا الربع صباحًا ؛ لتذهب بى إلى المشرحة ؟! يا له من إجراء رقيق ، فى ساعات الصباح الأولى !

أجابه (عصام) فى صرامة :

- إنه إجراء حاسم حتمى .. لابد أن يعرض التليفزيون صورة الرجل ، فى برنامج (صباح الخير يا مصر) ، بعد أقل من ساعة ، ويطالب المشاهدين بالتقدُّم بكل ما لديهم من معلومات عنه ، ولقد أجريت اتصالى بالمسئولين فى التليفزيون ، وحصلت على موافقتهم بالفعل ، وأيقظت الدكتور (على) من نومه ، وطلبت منه انتظارنا فى المشرحة ، ولم يتبق سوى أن تلتقط أنت الصور ، وتعمل على تحميضها ، وإظهارها ، وطبعها ، خلال أقل من ساعة .

انعقد حاجبا عم (توفيق) ، وهو يتمتم :

- فى أقل من ساعة ؟! من السهل على أى شخص أن يقول هذا ، ما دام لن يتورَّط فى التنفيذ .

ابتسم (عصام) ، قائلاً :

- ولكننى واثق من أنك قادر على هذا .

مطَّ عم (توفيق) شفتيه ، وعقد ساعديه أمام صدره ،

وغاص فى مقعده ، معلنًا احتجاجه ، فاتسعت ابتسامة (عصام) ، وهو يميل بسيارته ، ويتوقَّف أمام المشرحة مباشرة ..

وكان الدكتور (على) فى انتظارهما بالفعل ، ولم يكد يلمحهما ، حتى قادهما إلى داخل المكان ، وهو يقول :

ـ فكرة جيدة ، تلك التى اقترحتها يا أستاذ (عصام) .. إذاعة صورة الرجل المجهول ، عبر شاشات التليفزيون ، فى طول (مصر) وعرضها ، سيكشف الكثير من الغموض المحيط به حتمًا .

وصلوا إلى المكان ، وكشف الدكتور (على) وجه الجثة ، متابعًا :

ـ هل تعتقد أن باستطاعتكم إذاعة الصورة ، بعد أقلَ من ساعة واحدة ؟!

شعر (عصام) بشىء من التوتر ، وسرت فى جسده قشعريرة باردة ، وهو يتطلَّع إلى وجه البطل الصريع ، وخرجت الحروف من بين شفتيه مختنقة متحشرجة ، وهو يتمتم :

ـ أتعشم هذا .

ثم أشار إلى العم (توفيق) ، مستطردًا :

ـ هيا .. قم بعملك .

قاوم عم (توفيق) أيضًا ذلك التوتر ، الذى سرى فى جسده ، وهو يلتقط الصور لوجه البطل القتيل ، واستغرقه هذا لعشر دقائق كاملة ، حتى انتهى من عمله ، وقال :

ـ هيا بنا ، حتى يمكننا طبع الصور فى الوقت المناسب .

ودعهما الدكتور (على) ، وهو يلوِّح بيده ، هاتفًا :

ـ اتصل بى ، بعد أن تنتهى من عملك يا أستاذ (عصام) ، ربما أمكننى جمع المزيد من المعلومات ، بعد إعادة فحص الجثة .

انطلق (عصام) بسيارته ، بأقصى سرعة تسمح بها قوانين المرور ، فى تلك الساعة المبكرة ، وكاد يشتعل لهفة وتوترًا ، وهو ينتظر خارج حجرة طبع الصور فى الجريدة ، حتى خرج إليه عم (توفيق) ، والأسف يملأ وجهه ، وهو يلوِّح بالصور ، قائلاً :

ـ النتائج ليست مرضية .

اختطف (عصام) الصور من يده ، وألقى نظرة عليها ، قبل أن يهتف :

ـ ليست مرضية ؟! إنها رائعة .

قاوم عم (توفيق) أيضًا ذلك التوتر ، الذى سرى فى جسده ، وهو يلتقط الصور لوجه البطل القتيل ..

ولم تمض دقائق معدودة ، حتى كانت الصور داخل مبنى التليفزيون المصرى ، وما إن بدأ بث البرنامج اليومى (صباح الخير يا مصر) ، حتى تم عرض الصورة على المشاهدين ، مع مطالبة كل من يجد لديه أية معلومات عن صاحبها ، بالاتصال فورًا بالصحفى (عصام كامل) ، فى قسم أخبار الحوادث بالجريدة ..

وتلقت (مصر) كلها الرسالة فى اهتمام بالغ ..

وجذبهم اسم (عصام كامل) ، صاحب أشهر توقيع فى صفحات أخبار الحوادث ..

توقيع (ع × ٢) ..

أما (عصام) نفسه ، فقد شعر بالكثير من الارتياح ، بعد أن قام بهذه الخطوة ، فاسترخى على مقعده الوثير ، خلف مكتبه الكبير فى الجريدة ، وهو يقول لعم (توفيق) :

ـ الآن لم يعد أمامنا سوى الانتظار .

أشار عم (توفيق) إلى حجرة الاستراحة المجاورة ، وهو يغمغم :

ـ ما دام الأمر كذلك ، فلِمَ لا تحظى بقدر من النوم .. حتى تستعيد نشاطك على الأقل .

كان جفنا (عصام) ثقيلين بالفعل ، فألقى نظرة على الاستراحة ، متمتمًا :

ـ أنت على حق ..

وقام يجرّ قدميه جرًا إلى الاستراحة ، ولم يكد يلقى جسده على الأريكة الوثيرة فى ركنها ، حتى استرخت عضلاته كلها ، وراح فى نوم عميق ..

وفى نفس اللحظة ، التى سقط فيها (عصام) فى هوة النوم العميقة ، كان فريق من الرجال يتابع إذاعة صورة الرجل فى البرنامج ، والضيق يبدو على وجوههم فى وضوح ، ولوّح أحدهم بيده ، قائلاً :

ـ ذلك الصحفى تمادى كثيرًا فى الأمر .

قال آخر فى شىء من الحنق :

ـ وبسرعة بالغة .

نهض ثالث من مقعده ، واتجه إلى النافذة ، وعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً :

ـ المشكلة أن تحركاته السريعة هذه تزيد الموقف اشتعالاً ، وتعرّض الخطة الأساسية للفشل ..

سأله الأوّل :

ـ وما الذى يمكننا فعله ؟!

أجابه الثالث ، دون أن يلتفت إليه :

ـ لابد أن نتحرّك نحن أيضًا بنفس السرعة ، بل وبسرعة أكبر ، قبل أن يصبح التراجع مستحيلاً .

قال الثانى فى قلق واضح :

ـ من المؤكّد أن إذاعة الصورة على هذا النحو ستسبب بعض المشكلات .

صمت الثالث بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ لابد إذن من منع إذاعتها .

سأله الأوّل فى اهتمام :

ـ كيف ؟!.. هل نستغل سعة اتصالاتنا ، و ....

قاطعه الثالث فى صرامة :

ـ لابد من منع إذاعتها بأى ثمن .

تبادل فريق الرجال نظرة صامتة ، توحى بأن الثالث هو صاحب القرار النهائى .

ثم سأل الثانى فى اهتمام :

ـ وماذا بعد منع إذاعة الصورة ؟!

صمت الثالث طويلاً هذه المرة ، قبل أن يلتفت إليهم ، مجيبًا فى حزم :

ـ يأتى دور الجثة .

عاد الجميع يتبادلون تلك النظرة الصامتة ، دون أن يحاول أحدهم مناقشة الفكرة ..

وكان من الواضح أن الغموض ، الذى يواجهه (عصام) سيتضاعف فى المرحلة القادمة ..

سيتضاعف كثيرًا ..

★ ★ ★

لم يهدأ عقل (عصام) لحظة واحدة ، حتى فى أثناء نومه العميق ..

لقد حوَّل حيرته وقلقه ومخاوفه كلها إلى أحلام متشابكة معقَّدة ، انطلقت من عقله الباطن ؛ لتغمر كيانه كله ..

أحلام رأى فيها ذلك البطل ، وهو يقفز إلى النخلة ؛ لإنقاذ الطفلين ، ولكن المبنى كله يشتعل أمامه ، ويتحوَّل إلى كتلة من اللهب ..

وبلا ترددٌ ، يقفز البطل داخلها ..

ويصرخ الناس ..

ويبكون ..

ثم يظهر البطل ..

يظهر من وسط النيران ، كمقاتل أسطورى خرافى ، وهو يحمل رجلاً فاقد الوعى بين ذراعيه ..

وهذا الرجل هو العميد (عادل) ..

(عادل محمود) ..

و ....

« استيقظ يا أستاذ (عصام) ... »

انتفض جسد (عصام) فى عنف ، وهو يفتح عينيه ، ويحدِّق فى وجه عم (توفيق) ، الذى أطلَّ من عينيه

مزيج من التعاطف والإشفاق ، وهو يقول :

ـ معذرة يا أستاذ (عصام) .. أعلم أنك مجهد للغاية ، ولم يغمض لك جفن منذ صباح أمس ، ولكن هناك سيِّدة تطلب مقابلتك فى إصرار ، بشأن الصورة .

شحذت الكلمة الأخيرة كل حواس (عصام) ، وجعلته يهبَّ جالسًا ، وهو يقول :

ـ الصورة ؟! أين هذه السيِّدة ؟!

أشار عم (توفيق) بيده ، قائلاً :

ـ تنتظرك فى مكتبك .

اندفع (عصام) إلى مكتبه فى لهفة ، على نحو أفزع السيِّدة الأنيقة ، التى هبَّت واقفة فور رؤيته ، وتراجعت بشىء من الذعر ، وهو يمدّ يده إليها ، قائلاً :

ـ أنا (عصام كامل) .. أخبرونى أنك طلبت رؤيتى بشأن الصورة .

ارتبكت السيِّدة ، وهى تقول ، متجاهلة اليد الممدودة إليها :

ـ هذا .. هذا صحيح .. هل .. هل يمكننى رؤية الصورة الأصلية ؟!

جلس (عصام) خلف مكتبه ، وجذب درج المكتب ، والتقط منه الصورة الأصلية ، وهو يسألها :

ـ ترى ما السبب ؟!
بدا عليها التوتر فى شدة ، وهى تجيب :
ـ إنها .. إنها تذكرنى بشخص ما .
ناولها الصورة ، وهو يسأل :
ـ شخص مثل من ؟!
انفرجت شفتاها لحظة ، وكأنها تهمّ بالجواب ، إلا أن بصرها لم يكد يقع على الصورة ، حتى انعقد لسانها فى حلقها ، واتسعت عيناها فى ارتياع ، وانتفض جسدها فى عنف ، وهى تصرخ :
ـ لا .. لا .. مستحيل !
تجمّد جسد (عصام) ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، من فرط الانفعال ، وهو يحدّق فيها ، ويسألها :
ـ من هو يا سيدتى ؟ من هو ؟!
أخفت وجهها بكفيها ، وهى تهتف :
ـ إنه زوجى .
كاد يقفز من مكتبه ، وهو يهتف :
ـ زوجك ؟!
أومأت برأسها ، وهى تبكى فى حرارة ، مجيبة :
ـ نعم .. إنه زوجى (أشرف) .. (أشرف عبيد) .
سرت فى جسد (عصام) انتفاضة عنيفة ، ، وهو يسمع الاسم ..

(أشرف عبيد) ..
هذا إذن هو البطل ..
البطل المجهول ..
بل الذى لم يعد مجهولاً ..
هذا هو طرف الخيط ، الذى سيقوده إلى كل المعلومات عنه ..
كلاّ .. إنه الخيط كله ..
لقد عرف اسمه ، وقابل زوجته ، و ....
« ماذا أصابه ؟! »
ألقت الزوجة السؤال ، وهى تبكى فى حرارة ، فتنهّد (عصام) ، وتراجع فى مقعده ، وهو يقول :
ـ صدقينى يا سيّدتى ، زوجك مات كبطل ، ولقى مصرعه كشهيد .
توقّفت دموع الزوجة بغتة ، وهى تحدّق فى وجهه ، مغمغمة :
ـ بطل وشهيد ؟! (أشرف) ؟!
ألقتها فى مزيج من الدهشة والاستنكار ، وكأنها ترفض تصديق أن زوجها يمكنه القيام بأى عمل بطولى ، أو الموت كشهيد ..
ولم يرق رد فعلها هذا لـ (عصام) ..

لم يرق له أبدًا ..

لذا فقد نهض من خلف مكتبه ، وانعقد حاجباه ، وهو يقول :

ـ نعم يا سيِّدتى .. زوجك (أشرف عبيد) استشهد ، وهو يجاهد لإنقاذ طفلين من موت محقَّق ، فى قرية الأطفال ، ظهر أمس ، ومن المؤكَّد أنك شاهدت بطولته على شاشة (التليفزيون) ، و ...

هبَّت السيِّدة من مقعدها ، هاتفة :

ـ مهلاً يا أستاذ (عصام) .. أتقصد أن تلك الصورة ، التى أريتنى إياها الآن ، هى صورة ذلك الرجل ، الذى أنقذ الطفلين أمس ، والذى أشادت به كل نشرات الأخبار ؟!

التفت (عصام) إليها ، قائلاً :

ـ ينبغى أن تفخرى بما فعله زوجك يا سيِّدتى .

أدهشته تلك الصرامة ، التى ظهرت على وجهها ، وهى تقول :

ـ لا داعى لأن أفعل .

هتف مستنكرًا :

ـ ماذا تقولين يا سيِّدتى ؟!

أجابة بنفس الصرامة :

ـ نشرات الأخبار قالت : إن الحادث وقع ما بين الثانية عشرة والثانية عشرة وثلاث عشرة دقيقة من ظهر أمس .

قال فى اهتمام :

ـ هذا صحيح .

شدت قامتها فى اعتداد ، قائلة :

ـ فى هذه الحالة لا يمكن أن يكون هذا الرجل زوجى ؛ لأننى ، وفى نفس التوقيت الذى ذكرته نشرات الأخبار ، كنت أتحدَّث إلى زوجى (أشرف) فى (لندن) .

واتسعت عينا (عصام) فى دهشة ..

لقد صفعته تلك الحقيقة الجديدة .

وبكل عنف .

★ ★ ★

٥ ـ اختفاء

ارتفع حاجبا (نهلة) فى دهشة ، وهى تواجه المسئول عن الإعلانات فى التليفزيون ، قائلة :

ـ تمنعون إذاعة صورة البطل ؟! ولكن لماذا ؟ ألسنا نسعى جميعًا لكشف هويته ، تلبية لرغبات المشاهدين ؟!

أجابها الرجل فى صرامة :

ـ ليست هذه مهمتنا يا آنسة (نهلة) .. التليفزيون جهة إعلامية ، وليس هيئة من هيئات الأمن أو الشرطة .. ثم إننا لم نعلن أن هذه صورة البطل المجهول .. كل ما قلناه هو أنها صورة شخص ما ، نبحث عن أية معلومات بشأنه ، ولستَ أعتقد أن هذا الأسلوب يروق لكبار المسئولين ، و ...

قاطعته فى شىء من الحدة :

ـ ولكن هذا لم يكن رأيك فى الصباح .

أجابها فى صرامة أكثر :

ـ لم يكن ذهنى صافيًا حينذاك ، ولكننى راجعت الأمر ،

ووجدت أنه من الخطأ أن ندس أنوفنا فى عمل الشرطة ،

استجابة لصحفى :

هتفت مستنكرة :

ـ صحفى ؟! أنت تعلم مثلى أن (عصام كامل) ليس صحفيًا عاديًا ، بل هو أشهر صحفى حوادث فى (مصر) كلها ، وتوقيعه (ع × ٢) يعنى للقراء قضية جديدة مثيرة ، مهما بلغ غموضها ، فسيعرفون حلها فى النهاية ، و ...

قاطعها المسئول هذه المرة فى غضب :

ـ فليكن .. خطيبك هو أشهر صحفى فى (مصر) ، وربما فى العالم أجمع ، ولكن تلك الصورة لن تتم إذاعتها ثانية ، وهذا قرار غير قابل للمناقشة .. هل فهمت ؟!

حدّقت (نهلة) فى وجهه بدهشة لحظات ، قبل أن تعقد حاجبيها فى صرامة ، قائلة فى حزم :

ـ فليكن .. لقد فهمت :

قالتها ، واستدارت مغادرة الحجرة فى اعتداد ، ولكنها لم تكد تغلق بابها خلفها ، حتى قفز القلق والتوتر فى أعماقها ؛ ليرتسما على وجهها فى وضوح .

موقف مسئول الإعلانات جعلها تدرك جيدًا أن الأمر بالغ الخطورة بالفعل ، كما يعتقد (عصام) ..

وأنه هناك قوة ، تسعى للإبقاء على الغموض المحيط بالموقف ..

قوة ذات أذرع طويلة عديدة قوية ..

أذرع أشبه باخطبوط ، يتغلّل فى المجتمع ..

أخطبوط قوى ..

وقاتل ..

★ ★ ★

« سيِّدتى .. هل يمكن أن تلقى نظرة أخرى على الصورة ؟! »

ألقى عم (توفيق) السؤال على السيِّدة الأنيقة ، فى اهتمام بالغ ، وهو يلتقط الصورة من فوق مكتب (عصام) ، ويناولها إياها ، فأشارت إليه بيدها فى اعتراض ، قائلة فى حزم :

ـ لا داعى .. الصورة بالفعل تشبهه تمامًا ، ولكننى كنت أتحدَّث إليه فى (لندن) بالفعل ، عند وقوع الحادث .

تطلَّع إليها (عصام) لحظة فى صمت ، وهو يشعر وكأنه قد تلقَّى صفعة قوية ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، وسألها :

ـ أأنت واثقة من أن تلك المحادثة كانت من (لندن) ؟

انتفض جسدها فى عنف ، وهى تهتف :

ـ ماذا تعنى ؟! ماذا تقصد بسؤالك هذا ؟!

بدا له من الواضح أنه أصاب وترًا حساسًا بسؤاله هذا ، فأضاف فى شىء من الحزم :

ـ من أدراك أنه لم يكن يتحدَّث إليك من هنا ؟!

امتقع وجهها ، وارتجفت شفتاها ، وهى تجيب بصوت ولهجة ، لم ينجحا حتى فى إقناعها هى :

ـ ولمـ ... لماذا يفعل هذا ؟

تراجع فى مقعده ، وهو يتأمل وجهها فى إمعان ، قائلاً :

ـ ربما ليوحى لك بأنه لم يعد إلى (القاهرة) .

ارتجفت شفتاها مرة أخرى ، وتركت جسدها يسقط على المقعد دون أن تدرى ، وهى تردِّد فى شىء من الهلع :

ـ لا .. لا يمكن أن يفعل بى (أشرف) هذا .. لقد فعلت الكثير من أجله ، ولا يمكن أن يفعل بى هذا .

تبادل (عصام) نظرة متوترة مع عم (توفيق) ، قبل أن يقول :

ـ هناك وسيلة للتأكُّد من هذا .

امتقع وجهها ، وارتجفت شفتاها ، وهى تجيب بصوت ولهجة ، لم ينجحا حتى فى إقناعها هى : ـ ولم .. لماذا يفعل هذا ؟ ..

رفعت عينيها إليه فى لهفة ، كالغريق الذى يتعلّق بقشة للنجاة ، هاتفة :

ـ كيف ؟!

التقط سمّاعة هاتفه ، وهو يجيب :

ـ لى أصدقاء فى هيئة المواصلات ، يمكنهم إفادتنا بأرقام الهواتف ، التى اتصلت بك أمس .. ما رقم هاتفك ؟

ألقت إليه الرقم فى لهفة ، فضغط أزرار هاتفه ، وانتظر حتى سمع صوت محدّثه ، ثم قال :

ـ صباح الخير يا (حسن) .. أنا (عصام) .. (عصام كامل) .. أريد منك خدمة عاجلة .. سأعطيك رقم هاتف ، وأريد معرفة كل أرقام الهواتف ، التى اتصلت به أمس .. نعم .. إنه طلب شخصى ، بطريق غير رسمى بالطبع .. شكرا يا (حسن) .. سأنتظر .. يمكنك إرسال القائمة بوساطة الفاكس .

وأنهى المحادثة ، وهو يقول للسيّدة :

ـ دقائق ويصلنا الجواب..

أومأت برأسها فى اضطراب ، فتطلّع إليها (عصام) لحظة فى صمت ، وسألها :

ـ هل يمكننا أن نتعارف أكثر يا سيّدتى ؟!

أومأت برأسها ثانية ، وجففت دمعة همّت بالانحدار على وجنتها ، وهى تجيب بصوت واضح التوتر :

ـ اسمى (إيناس) .. (إيناس خالد) .. سيّدة أعمال .. أعنى أننى أمتلك مكتبًا للاستيراد والتصدير ، ويعاوننى فى إدارته زوجى (أشرف) ، الذى يقيم فى (انجلترا) منذ عدة سنوات ، ولقد انتقل للإقامة هنا منذ عام واحد ، وبدأ بعض الاتصالات ، لإقامة مشروع سياحى ضخم ، فى الساحل الشمالى ، بين (الإسكندرية) و (مرسى مطروح) ، وأعتقد أنه عقد بالفعل عدة اتصالات قوية ، لم يفصح لى عنها بالضبط ، ولكنه أكّد أن مشروعه سيدرّ عليه الملايين ؛ لأن شركاءه من كبار المسئولين فى الدولة .

انعقد حاجبا (عصام) فى شدة ، عندما بلغت هذه النقطة من حديثها ، واعتدل فى مقعده ، قائلاً فى اهتمام :

ـ كبار المسئولين ؟! هل أخبرك أن شركاءه من كبار مسئولى الدولة ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ هذا ما أخبرنى به .

ازداد انعقاد حاجبى (عصام) ، وتبادل نظرة أخرى مع عم (توفيق) ، وقد قفزت إلى ذهنى كل منهما فكرة واحدة ..

إنها ليست قضية قتل عادية ..

إنها فى الواقع قضية فساد ..

قضية كبرى ..

لقد لقى (أشرف) هذا مصرعه ؛ لأنه يقيم مشروعًا ضخمًا ، مع بعض المسئولين فى الدولة ..

هذا لو أن ذلك الذى لقى مصرعه ، هو (أشرف عبيد) نفسه ..

وقبل أن تستقر الفكرة فى أعماقها ، انطلق رنين جهاز (الفاكس) ، فالتفتت إليه أنظار الجميع ، وتعلّقت بالورقة التى أخرجها ، التى التقطها (عصام) فى لهفة ، وألقى عليها نظرة طويلة ، و (إيناس) تسأله :

ـ المحادثة من (لندن) .. أليس كذلك ؟!

رفع (عصام) عينيه إليها ، وهزّ رأسه نفيًا ، على نحو خفق له قلبها فى عنف ، فتراجعت هاتفة :

ـ من أين أتت إذن ؟!

مال نحوها ، ولوّح بالورقة ، مجيبًا :

ـ من هاتف سيارته ، داخل (القاهرة) .

لم يكد ينطق العبارة ، حتى تراجع فى عنف ، قبل حتى أن تطلق هى شهقتها ، وتصرخ :

ـ من هاتف سيارة ؟! مستحيل !!

سألها (عصام) فى توتر بالغ :

ـ ما نوع السيارة ، التى يستقلها زوجك يا سيدتى ، والتى تحوى الهاتف .

امتقع وجهها ، حتى خُيِّل إليه أنه خلا من الدماء تماما ، وهى تجيب :

ـ إنها من طراز (بى . إم .. دابليو) .. زرقاء اللون .

وارتفع حاجباه ، حتى كادا يثبان خارج جبهته ..

ها هوذا لغز جديد ينكشف ..

لغز الـ (بى . إم . دابليو) الزرقاء ..

وبكل لهفته وانفعاله ، مال (عصام) نحو السيدة (إيناس) ، قائلاً :

ـ سيدتى .. معذرة لما سأقوله ، ولكننى واثق من أن تلك الصورة هى صورة زوجك .

اتسعت عيناها فى ارتياع ، وهى تهتف :

ـ مستحيل !.. لا يمكن أن ..

قاطعها فى سرعة :

ـ هناك وسيلة واحدة لحسم الأمر .

رفعت عينيها إليه فى تساؤل ، فاعتدل مستردا :

ـ أن تشاهدى الجثة فى المشرحة .

تراجعت كالمصعوقة ، هاتفة :

ـ أنا ؟! لن يمكننى هذا أبدا .

هزَّ رأسه فى حزم ، قائلاً :

ـ للأسف يا سيدتى .. لا يوجد بديل آخر .

ولكن إقناعها بالقيام بهذه الخطوة لم يكن سهلاً .. لم يكن كذلك أبدا ..

★ ★ ★

وقف ذلك الرجل الثالث صامتاً ، فى الغرفة الواسعة ، التى كان يحتلها فريق الرجال ، يتطلع عبر نافذتها الكبيرة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويغرق فى تفكير عميق ، حتى دلف أحد رجال الفريق إلى الحجرة ، وتنحنح ليجذب انتباه الرجل ، الذى سأله ، دون أن يلتفت إليه :

ـ ماذا لديك ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ لقد تم منع إذاعة الصورة فى التليفزيون ، ولكن بعد فوات الأوان للأسف .

استدار إليه الرجل فى بطء ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يسأله فى توتر ملحوظ :

ـ ماذا تعنى بعبارة (بعد فوات الأوان) ؟

تنحنح القادم مرة أخرى ، قبل أن يجيب :

ـ الواقـع يا سيِّد (ف) أن (إينـاس) زوجـة (أشرف) قد شاهدت الصورة ، قبل منع إذاعتها .

ازداد انعقاد حاجبى السيِّد (ف) ،، وهو يسأله :

ـ ثم ماذا ؟!

لوَّح الرجل بيده ، مجيبًا :

ـ ثم ذهبت لمقابلة الصحفى .

أطلَّ الغضب من كل خلجة من خلجات السيِّد (ف) ، وهو يقول :

ـ هذا يعقِّد الأمور أكثر وأكثر .

أومأ الرجل برأسه موافقًا ، وقال :

ـ لا شك فى أنهـا ستتعرَّف الصورة ، وسيقود هذا الصحفـى إلـى البحـث عـن (أشـرف) ، وتاريخـه ، وعلاقاته السابقة .

عاد السيِّد (ف) يعقد حاجبيه ، قائلاً :

ـ وهذا آخر ما نحتاج إليه .

أومأ الرجل برأسه إيجابًا مرة ثانية ، وسأل :

ـ ما الذى تقترحه الآن يا سيِّدى ؟!

عاد السيِّد (ف) إلـى صمتـه الطويل ، وهـو يتطلَّع عبر النافذة ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ من الواضح أن ذلك الصحفى لن يهدأ أو يصمـت ، قبل كشف كل ما يتوصَّل إليـه مـن حقـائق ، ومـن الضرورى أن نضـع العراقيل فى طريقـه ، حتـى يعجز عن التوصُّل إلى أية حقائق جديدة ، حتـى ننتهى نحن من خطتنا .

سأله الرجل فى حذر :

ـ ولِمَ لا تعرض عليه الانضمام إلينا ؟!

صمت السيِّد (ف) طويلاً مرة أخرى ، قبـل أن يهزّ رأسه نفيًا ، ويقول فى حزم :

ـ كـلاَّ .. توقَّفـه الآن سيثير المزيـد مـن الشكوك .. فلندعه يمضى فى طريقه ، على ألا يتوصَّل إلى الحقيقة ، قبل أن نضع نحن اللمسات الأخيرة .. لا أريـد أن يـدرك أى مخلوق أن لنا صلة بالأمر .

غمغم الرجل :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى .. بالتأكيد .

ثم ازدرد لعابه ، قبل أن يضيف :

ـ وإن كان هذا يذكرنى بلعبة القط والفأر .

صمت السيِّد (ف) لحظة ، ثم قال فى اقتضاب :

ـ بالضبط .

ولم يضف حرفـا جديدًا ، وهـو يواصـل التطلُّـع عبر النافذة ، فانسحب الرجل فى صمت وهدوء ، وهو يعرف الخطوة التالية من الخطة ..

المشرحة ..

مشرحة (زينهم) ..

★ ★ ★

ارتجف جسد السيِّدة (إينـاس) ، مـن قمـة رأسـها ، وحتى أخمص قدميها ، عندما توقَّفت سيارة (عصـام) أمام مبنى المشـرحة ، واتسعت عيناها عن آخرهمـا ، وتجمَّدت داخل السيارة ، وهى تحدِّق فى المبنى ، فغادر (عصـام) سيارته ، ودار حـول مقدَمتهـا ؛ ليفتـح لهـا بابها ، قائلا :

ـ تفضَّلى يا سيِّدتى .

ارتجفت فى عنف ، قائلة :

ـ مستحيل !.. لن يمكننى دخول هذا المكان .. هنـاك قتلى ، وجثث ، ومصابون ، و ....

جذبها (عصام) من يدها فى شـىء مـن الخشـونة ، قائلا :

ـ سنبذل قصارى جهدنا ؛ لنتفادى رؤيتهم .

صاحت به غاضبة ، وهى تغادر السيارة :

ـ أستاذ (عصام) .. إنك تؤلمنى .

جذبها إلى المشرحة ، وهو يقول :

ـ تقبَّلى اعتذارى .

كان يعلم أن أسلوبه معها جاف خشن ، مناف للـذوق وقواعـد اللياقـة ، إلا أن اللهفـة الشـديدة فـى أعماقـه ، لكشف غموض اللغز ، كانت تجبَ كل شىء ..

أما هى ، فقد راحت ترتجف فى شدة ، وهمـا يدلفـان إلى حجرة مكتب الدكتـور (علـى) ، الـذى هـبَ وواقفـا فى دهشة ، وهو يقول :

ـ أستاذ (عصام) ؟! لم أتوقَّع رؤيتك بهذه السرعة .

أجابه (عصام) :

ـ ولا أنـا توقَّعـت العـودة إلى هنـا بهـذه السـرعة يا دكتور (على) ، ولكن السيِّدة (إيناس) ترغب فـى تعرُّف جثة البطل ، فهى تظن أنه ..

قاطعه الدكتور (على) فى دهشة عارمة :

ـ جثة البطل ؟!.. أية جثة يا أستاذ (عصام) ؟!

انعقد حاجبا (عصام) فى شدة ، وهو يقول :

ـ ماذا دهاك يا دكتور (على) ؟!.. إننا نتحـدَّث عن جثة البطل المجهول .. بطل حادث قرية الأطفال .

قلب الدكتور (على) كفيه ، وهو يقول :

ـ ولكنه لم يعد مجهولاً يا أستاذ (عصام) .. لقد تعرّفته عائلته ، وأتى بعضهم لاستلام جثته ، بأمر من وكيل النائب العام .

شهقت (إيناس) ، فى حين قال (عصام) فى عصبية :

ـ لا تقل لى : إنكم سلمتموهم جثته .

هزّ الدكتور (على) كفيه ، وهو يجيب فى حيرة :

ـ وهل نملك سوى هذا ؟

صاح (عصام) فى غضب :

ـ اللعنة !.. اللعنة !

أما (إيناس) ، فقد انفجرت باكية فى حرارة ، وراحت تردّد :

ـ لقد سرقوا جثة (أشرف) .. سرقوها ..

ارتفع حاجبا الدكتور (على) ، وهو يقول :

ـ (أشرف) ؟! كلاً يا سيّدتى .. الشخص الذى أخذوا جثته ، لم يكن يحمل اسم (أشرف) .. بطاقته الشخصية لا تحمل هذا الاسم على الأقل .

رفع (عصام) عينيه إليه فى حركة حادة ، وهو يقول :

ـ بطاقته الشخصية .. هل سلموكم بطاقته الشخصية ؟!

فتح الدكتور (على) درج مكتبه ، والتقط منها بطاقة شخصية جديدة ، قائلاً :

ـ بالطبع .. هذا يجعل الإجراء أكثر سهولة ، وها هى ذى البطاقة .. لقد احتفظت بها ، حتى ننهى الـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، اختطف (عصام) البطاقة الشخصية ، وتطلّع إليها فى لهفة ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ..

لقد كانت تحمل صورة واضحة لذلك البطل ، ولكن الاسم مختلف تمامًا ..

اسم (طارق عبد الجواد) ..

وكان هذا كفيلاً بالقفز بدرجة الغموض .. إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

التقى حاجبا النقيب (عصمت فوزى) فى اهتمام ، وهو يتطلّع إلى البطاقة الشخصية ، التى استعارها (عصام) من الدكتور (على) ، ويقلّبها فى يديه باهتمام ، قبل أن يقول :

ـ عجبًا !.. إنها تبدو لى سليمة تمامًا ، ولا أثر فيها للتزييف أو التزوير .

قبل أن يتمّ عبارته ، اختطف (عصام) البطاقة الشخصية ، وتطلّع إليها فى لهفة ..

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .. ورجال المعمل الجنائى أكّدوا لى هذا ، بعد أن فحصوها بأجهزتهم المتخصّصة ، وهذا يعنى أن ذلك الرجل ليس (أشرفّ عبيد) ، زوج (إيناس خالد) ، ولكنه (طارق عبد الجواد) ، الموظف بإحدى شركات السياحة :

سأله (عصمت) فى اهتمام :

ـ وما اسم تلك الشركة بالضبط ؟!

هزّ (عصام) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى .. لا أحد يدرى .. الوظيفة فى البطاقة هى موظف فى شركة للسياحة .. فقط هكذا .. دون أية تفاصل إضافية ، وكأن التعمية مطلوبة ومقصودة .

سأله (عصمت) ، وهو يشير إلى البطاقة :

ـ وماذا عن العنوان المدوّن هنا ؟!

تنهّد (عصام) ، مجيبًا :

ـ أوّل ما فعلته هو أن ذهبت إلى هناك ، وعرضت البطاقة على البوّاب ، فتعرّف الرجل على الفور ، وأخبرنى أنه شاب هادئ مهذب ، أقام فى تلك الشقة لعدة أشهر ، ثم غادرها دون أن يترك خلفه عنوانًا ، أو يعود إليها مرة أخرى .

أومأ (عصمت) برأسه متفهّمًا ، وهو يقول :

ـ أسلوب مثاليّ للاختفاء .

أشار (عصام) بيده ، قائلاً :

ـ بالضبط .. كل شيء يبدو وكأنه مقصود تمامًا .

انعقد حاجبا (عصمت) مرة أخرى ، وهو يفكّر فى عمق ، ثم قال فى اهتمام بالغ ، يشفّ عن انغماسه فى الأمر :

ـ ماذا لو كان (طارق عبد الجواد) هو نفسه (أشرف عبيد) ؟!

سأله (عصام) فى دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟!

اعتدل (عصمت) ، قائلاً :

ـ أعنى ماذا لو أننا أمام نصاب محترف ، اعتاد انتحال شخصية تلو الأخرى ؛ ليقوم بعمليات نصب متتالية ، دون أن ينكشف أمره ؟!

ارتفع حاجبا (عصام) فى دهشة ، قبل أن يقول :

ـ الفكرة تبدو مثيرة بالفعل ، ولكنها تذكرنى بمسلسل عربى قديم(*).

هزّ (عصمت) كتفيه ، قائلاً :

(*) الرجل ذو الخمسة وجوه ، أبيض وأسود ، بطولة الفنان الراحل صلاح ذو الفقار) .

ـ كثيرًا ما يقترب الخيال من الحقيقة .

واستعاد اهتمامه ، وهو يضيف :

ـ وهذا أكثر منطقية من فكرة قضية الفساد الجماعى هذه .

صمت (عصام) لحظة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ على العكس .. فكرة مؤامرة الفساد هذه تبدو أكثر منطقية ، فلو أن القتيل هو (أشرف عبيد) ، الذى يقيم مشروعًا ضخمًا ، بالاشتراك مع كبار المسئولين فى الدولة ، فمن الطبيعى أن يجد من يعاونه على استخراج بطاقة شخصية زائفة ، أو تزوير أية أوراق رسمية مطلوبة ، للقيام بأى عمل كان .

تنهّد (عصمت) ، قائلاً :

ـ ولكن هذا يجعل الأمر خطيرًا للغاية .

أجابه (عصام) فى صرامة :

ـ إنه كذلك بالفعل .

ومرة أخرى ، انعقد حاجبا (عصمت) فى شدة ، ونهض من مقعده ، ودار فى حجرة مكتبه بعض الوقت فى صمت ، قبل أن يتوقّف ، ويقول فى حزم :

ـ فى هذه الحالة لا أنصحك بمواصلة بحثك يا (عصام) .. اترك الأمر لنا ، فقضية بهذا الحجم

تجعل من يتتبعها هدفا لمخاطر شديدة ، لن تتوقف إلا عند مرحلة القتل .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (عصام) ، ولكن العناد الصحفى فى أعماقه أذاب جليد الخوف ، وجعله يقول فى حزم :

ـ ليس أمامى سوى السعى خلف الحقيقة يا رجل ... مهما كان الثمن .

تطلّع إليه (عصمت) لحظة فى صمت ، ثم وضع يده على كتفه ، قائلاً :

ـ فليكن يا (عصام) .. ابذل قصارى جهدك ، مادمت تؤمن بأن هذا هو واجبك ، ولكن كل ما أطلبه منك هو ألا تتورّط كثيرًا ، دون أن تبلغنى بما أنت فى سبيله .. هل يمكن أن تعدنى بهذا ؟

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، وقال فى اقتضاب :

ـ أعدك .

تصافحا ، وغادر (عصام) مبنى مباحث أمن الدولة ، واستقلّ سيارته ، وانطلق عائدًا بها إلى الجريدة ..

وفى سيارة أخرى كبيرة ، غمغم رجل غليظ الملامح ، وهو يشير إلى سيارة (عصام) :

ـ ها هو ذا الصفى .

أجابه الرجل الجالس إلى جواره بصوت خشن :

ـ انطلق خلفه .

سأله الغليظ ، وهو ينطلق بالسيارة خلف (عصام) :

ـ هل ننفذ العملية الآن ؟!

أومأ الآخر برأسه إيجابًا ، قبل أن يقول بصوته الخشن :

ـ نعم .. سننفذ ما أمر به الزعيم .

كان (عصام) ينطلق بسيارته فى شرود ، وعقله يبذل قصارى جهده ، فى محاولة لترتيب الأحداث ، والتوصُّل إلى استنتاج منطقى ..

إنه الآن أمام اسمين ..

(أشرف عبيد) ..

و(طارق عبد الجواد) ..

ولا يوجد دليل واحد ، يمكن أن يرشده إلى الشخص الحقيقى منهما ..

اعتصر عقله بكل ما يمكنه ، وهو يراجع مالديه من معلومات ، فى محاولة لحصر الأمر فى أحد الشخصين دون الآخر ..

ولكن عقله عجز عن هذا ..

وهو يعلم جيدًا لماذا ..

صحيح أنه حصل على شهرته من خلال حل القضايا الغامضة ، التى ينشرها فى الصحيفة ، بتوقيع (ع × ٢) .

ولكنه ليس صاحب الفضل أبدًا فى التوصُّل إلى حل قضية واحدة منها ..

دائمًا كان الآخرون يتوصلون إلى الحل ..

(عماد) و (علا) ، أو (عادل محمود) ..

وهو فقط ينشر القضية ..

ويفوز بالإعجاب كله ..

شعر بالضيق ، عندما توصَّل إلى هذه النقطة ، وراودته رغبة قوية فى زيارة (عماد) و (عُلا) ، وعرض الأمر عليهما ، و ....

وفجأة ، وبينما كان يسير بمحاذاة شريط المترو ، انحرفت سيارة سوداء ضخمة تجاهه ..

وبحركة غريزية ، انحرف هو أيضًا ، فى محاولة لتفادى الارتطام بها ..

واتسعت عيناه فى ارتياع ..

لقد رأى المترو يتجه نحوه مباشرة ، وعلى مسافة لا تزيد على ستة أمتار ..

وفى الوقت ذاته ، كانت السيارة السوداء الكبيرة تدفعه أكثر وأكثر ، نحو شريط المترو ..

وأدرك (عصام) الأمر كله فى هذه اللحظة ..

إنها محاولة قتل ..

وكل الشواهد توحى بأنها ستصبح محاولة ناجحة .. للغاية .

★ ★ ★

٦ ـ الكبـــار ..

قلَّب (عصمت) البطاقة الشخصية بين يديه للمرة العاشرة ، وهو يجلس خلف مكتبه ، فى مبنى مباحث أمن الدولة ، وتوقَّف مرة أخرى أمام صورة ذلك المجهول ، الذى يحمل فى البطاقة اسم (طارق عبد الجواد) ، مع وظيفة شبه مبهمة ، يستحيل التوصُّل إليها بالأساليب العادية ، وغمغم :

ـ يبدو أن (عصام) على حق .. استخراج بطاقة رسمية يحتاج إلى سلطات ضخمة .. ضخمة أكثر مما ينبغى .

عاد عقله يفكِّر فى نظرية مؤامرة الفساد الكبرى ، والمسئولين الكبار خلفها ، وبدت له الفكرة أكثر منطقية هذه المرة ، وهو يراجعها ، ويراجعها ، ثم لم يلبث أن التقط سمَّاعة الهاتف الخاص به وجرت أصابعه على أزراره ، ولم يكد يسمع صوت محدِّثه ، حتى اعتدل ، قائلاً :

ـ صباح الخير يا (فتحى) .. أنا (عصمت) .. (عصمت فوزى) .. أعلم أننا لم نلتق منذ فترة طويلة ،

ولكنك تدرك مسئوليات العمل ومشغولياته .. الواقع أننى أريد منك خدمة .. نعم .. خدمة شخصية .. لدى هنا بطاقة ، أريد معرفة ظروف استخراجها .. لا .. ليست مزوَّرة ، ولكننى أشعر أنه هناك أمر ما غير طبيعى حولها .. سأمنحك رقمها ، و ....

« أنه الاتصال .. »

اخترق الأمر أذنيه بصوت صارم ، ولهجة جافة حازمة ، فرفع عينيه إلى مصدر الصوت ، وهبَّ واقفًا ، وهو يقول :

ـ سيادة اللواء .. معذرة .. لم أنتبه لـ ....

قاطعه اللواء فى صرامة :

ـ أنه هذه المحادثة فورًا .

أعاد (عصمت) السَّماعة إلى موضعها ، وهو يتطلَّع إلى رئيسه الأعلى فى حيرة وتساؤل ، فمدَّ اللواء يده إليه ، قائلا بنفس الصرامة :

ـ أعطنى هذه البطاقة .

ارتفع حاجبا (عصمت) فى دهشة بالغة ، وهو يقول :

ـ أية بطاقة ؟

صاح اللواء فى غضب :

ـ كف عن المراوغة .. أريد هذه البطاقة فورًا .

تفجَّرت موجة هائلة من الدهشة والغضب ، فى أعماق (عصمت) ، وخُيِّل إليه أن (عصام) كان على حق تمامًا ، عندما افترض وجود مؤامرة فساد كبرى ، تورَّط فيها عدد من كبار المسئولين ، ولوَّح بالبطاقة ، قائلاً فى شىء من العصبية :

ـ هذه البطاقة ربما تكون الدليل المادى الوحيد ، على وجود مؤامرة ، أو فضيحة فساد كبرى ، قد تؤدى إلى سقوط عدد من كبار المسئولين ، و ....

اختطف اللواء البطاقة من يده ، ودسَّها فى جيبه ، وهو يقول فى حدة :

ـ لا شأن لك بهذا .. ليس من حق أى ضابط القيام بمهمة شخصية .. مهمتكم تعتمد على طاعة الأوامر .. هل تفهم ؟!

اعتدل (عصمت) ، وهو يقول فى حزم :

ـ سيِّدى .. ربما كان الأمر أخطر من ..

صرخ اللواء فى وجهه :

ـ لا تناقشنى ..

ثم مال نحوه ، ولوَّح بسبَّابته فى وجهه ، مستطردًا فى غضب صارم ، وبلهجة لم يسمعها (عصمت) منه قط من قبل :

ـ انس أمر هذه البطاقة تمامًا ، وكأنك لم ترها .. هل تفهم ؟!..

إياك أن تدسَّ أنفك فيما لا يعنيك ، وإلا ..

انعقد حاجبا (عصمت) ، وهو يقول :

ـ وإلا ماذا يا سيادة اللواء ؟!

التقى حاجبا اللواء على نحو مخيف ، وهو يجيبه :

ـ وإلا نلت ما لا يرضيك أيها النقيب .

قالها ، ودار على عقبيه ، وغادر الحجرة ، وصفق بابها خلفه فى عنف :

ولثوان ، لم ينبس (عصمت) ببنت شفة ، أو يحرِّك ساكنًا ، وهو يحدِّق فى الباب ، الذى صفقه رئيسه الأعلى خلفه ، ثم لم يلبث أن تمتم فى حزم :

ـ انس أمر البطاقة ؟! معذرة يا سيادة اللواء ، ولكن ليس (عصمت فوزى) من يغلق عينيه ، ويصمّ أذنيه ، ويسدّ أنفه عن رائحة الفساد .

نطقها ، وقد تضاعف فى أعماقه ذلك الإيمان بفكرة (عصام) ..

فكرة قضية الفساد ..

الكبرى ..

★ ★ ★

لم تعد أمام (عصام) فرصة واحدة للنجاة ، والمترو يندفع نحوه ، وتلك السيارة السوداء الكبيرة تميل نحوه أكثر وأكثر ..

لذا فقد فتح (عصام) باب سيارته ، وقفز خارجها ، ووثب يتجاوز قضبان المترو ، ويعبرها إلى الجانب الآخر ، وسط السيارات المزدحمة المتقاربة ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، ارتطم المترو بالسيارة ..

كان الصدام عنيفًا ، ارتفع له دوى هائل ، فى المنطقة كلها ، وانطلقت معه صرخات المارة والعابرين وركّاب المترو ..

وحتى راكبى السيارة السوداء الكبيرة ..

لقد هتف غليظ الملامح ، وهو ينحرف بالسيارة ، مبتعدًا عن منطقة الاصطدام ، بأقصى سرعة :

ـ اللعنة !.. لقد نجا الصحفى .

صاح به الآخر بصوته الخشن :

ـ فليكن .. ابتعد عن هنا بأقصى سرعة .. هيا .. قبل أن ينجح أحدهم فى التقاط رقم السيارة .

انطلق غليظ الملامح بأقصى سرعة ، وهو يقول :

ـ لا بأس .. إنه رقم زائف .. لقد سرقت تلك اللوحات المعدنية صباح اليوم .

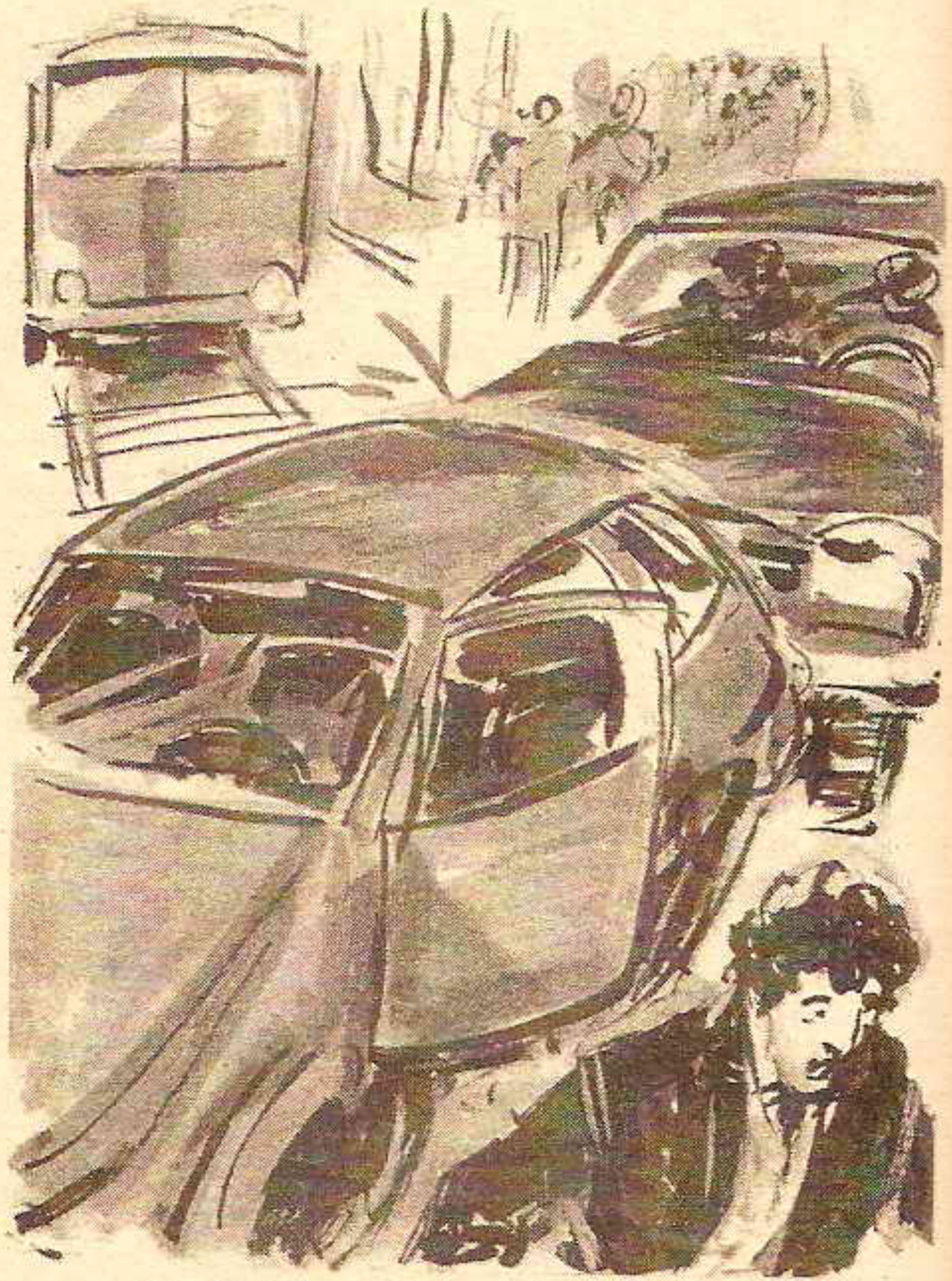

لذا فقد فتح (عصام) باب سيارته ، وقفز خارجها ، ووثب يتجاوز قضبان المترو ..

ثم مطَّ شفتيه ، واستطرد وهو يلقى نظرة أخيرة على السيارة ، التى يدفعها المترو أمامه فى مشهد رهيب :

ـ ولكن الزعيم لـن يغفر لنـا هذا أبدًا .. لـن يمكننـا العودة إليه ، بخبر فشلنا فى التخلُّص من الصحفى .

عقد الآخر حاجبيه فى شدة ، قبل أن يهتف به :

ـ توَقف .

ضغط الرجل فرامل السيارة بحركـة غريزيـة ، وهو يسأل :

ـ لماذا ؟!

التقط خشن الصوت سيجارة مـن علبـة ، دسَّها بيـن شفتيه ، وأشعلها فى هدوء ، قائلاً :

ـ أنـت علـى حق .. لا يمكننـا العـودة إلـى الزعيـم بفشلنا .

ونفث دخان السيجارة فى عمق ، قبل أن يضيف :

ـ لذا فسنحاول إصلاح الفشل .

سأله غليظ الملامح فى دهشة :

ـ كيف ؟!

أشار الآخر بيده ، مجيبًا :

ـ سنتتبع ذلك الصحفى ، وسنجد حتمًا فرصة للقضاء عليه .

صمت غليظ الملامح بضع لحظات ، وانعقد حاجباه ، وكأنه يفكِّر فى الأمر بعمق ، قبل أن تنفرج أساريره ، ويشير بيده ، قائلاً :

ـ فكرة حسنة يا رجل .. فكرة حسنة بالفعل :

قالها ، وانطلقت من حلقه ضحكة تشاركه غلظته وخشونته ..

وفى نفس اللحظة التى انطلقت فيهـا الضحكة ، كـان (عصام) وسط حشد هائل من المارة وركـاب المـترو ، وكلهم يحاولون الاطمئنان علـى صحتـه ، وكـان أحدهم يهتف :

ـ إنها محاولة قتل .. لقد شاهدت كل شىء بنفسـى ، ومستعد للإدلاء بشهادتى .

التقـط (عصـام) ذلـك الهتـاف ، وسـط العشـرات المحيطين به ، فصاح فى صاحبه .

ـ أأنت جاد يا رجل ؟! هل رأيت ما حدث بالفعل ؟!

أتاه صوت الرجل ، هاتفًا :

ـ بالتأكيد .. إنها سيارة سوداء كبيرة ، و ...

قبل أن يتمّ الرجل عبارته ، ظهرت دورية الشـرطة ، وأسرع ضابطها نحو منطقـة الاصطـدام ، قـائلاً فـى صرامة :

ـ أين صاحب السيارة ؟!

أشار إليه (عصام) بيده ، قائلا :

ـ إنه أنا .. اسمى (عصام كامل) ، صحفى بقسم أخبار الحوادث ، فى جريدة الأ ....

ضاع صوته وسط صوت العشرات ، الذى هتفوا مبهورين ، عندما أدركوا أن ذلك الذى يحيطون به هو صحفى الحوادث الشهير ، وتضاعف الزحام ، وراح الجميع يهنئونه بالنجاة ، ويسألونه عما إذا كان ما حدث ، عبارة عن محاولة انتقامية ، بسبب قضية سابقة ، أو أنها محاولة لمنعه من المضى فى قضية جديدة ..

وبصعوبة ، انتزع (عصام) نفسه من بينهم ، وهتف بضابط الدورية :

ـ ألا يمكننا الابتعاد عن هنا ؟!

هزّ الضابط رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ ليس قبل الانتهاء من معاينة الحادث ، ووصول المسئولين .. ولكن يمكنك الجلوس فى سيارة الدورية .

أسرع (عصام) إلى سيارة الدورية ، وألقى نفسه داخلها ، وهو يغمغم :

ـ من الواضح أنك تسير فى الطريق الصحيح يا (عصام) ، وإلا ما كانت هذه المحاولة للتخلُّص منك .

استغرقت الإجراءات الرسمية ما يقرب من ساعة كاملة ، قضاها (عصام) داخل السيارة ، يراجع كل التفاصيل ، ويحاول مرة أخرى ربط أطراف الخيوط بعضها ببعض ..

وفى هذه الأثناء ، كان فريق العمل قد اجتمع مع قائده السيِّد (ف) ، الذى استمع إلى أحدهم ، وهو يقول :

ـ انتهت مشكلة البطاقة .. لقد حصل عليها اللواء ، وتولَّى إعدامها ، بوساطة مفرمة الورق فى مكتبه ، ولكن يبدو أن النقيب (عصمت) هذا من الطراز الذى يصعب ترويضه ، فلقد أعاد الاتصال بصديقه فى مركز المعلومات ، وطلب منه البحث عن بطاقة باسم (طارق عبد الجواد) ، ومنحه الأرقام الثلاثة الأولى ، التى يتذكَّرها من البطاقة .

مطَّ السيِّد (ف) شفتيه ، وسأل فى اهتمام :

ـ ما اسم صديقه فى مركز المعلومات ؟!

أجابه الرجل :

ـ (فتحى عبد الله) .. إنه رئيس قسم المعلومات المدنية .

أشار السيِّد (ف) بيده إلى رجل آخر ، قائلا :

ـ تول أمره .

سأله الآخر فى حذر :

ـ بأية وسيلة ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ بالوسيلة التقليدية .

أومأ الآخر برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ كما تأمر يا سيِّدى .

التفت السيِّد (ف) إلى رجل ثالث ، وسأله :

ـ وماذا عن الصحفى ؟!

أجابه الثالث فى سرعة ، وكأنه ينتظر السؤال :

ـ لقد تعرَّض لحادث جديد .

التقى حاجبا السيد (ف) فى تساؤل ، فتابع الرجل :

ـ سيارته ارتطمت بالمترو .

ارتفع حاجبا السيِّد (ف) ، ومال برأسه إلى الأمام ، فاستدرك الرجل فى سرعة :

ـ ولكنه نجا من الموت بمعجزة .

ردَّد السيِّد (ف) :

ـ نجا ؟!

ثم عاد يتراجع فى مقعده ، ويعقد حاجبيه فى شدة ، وينهمك فى تفكير عميق ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

ـ لابد لنا من اتخاذ إجراء حاسم مع ذلك الصحفى ، قبل أن تتعقَّد الأمور أكثر وأكثر .

سأله أحد الجالسين فى اهتمام :

ـ وأى إجراء تقترح يا سيِّدى .

أجابه فى حزم :

ـ إجراء غير تقليدى .

ثم اعتدل ، وراح يشرح خطته . والكل يستمع إليه فى اهتمام بالغ ..

وفى أعماقهم ، اعترف أفراد الفريق بأن رئيسهم ذكى بالفعل ، وبأن الإجراء الذى يقترحه غير تقليدى حقًا ..

غير تقليدى على الإطلاق ..

★ ★ ★

انتهى ضابط الدورية من كل الإجراءات الرسمية ، قبل أن يتسقلّ سيارة الشرطة ، ويشير لسائقها بالانطلاق ، وهو يقول لـ (عصام) :

ـ أعتقد أن موقفك جيِّد إلى حد ما يا أستاذ (عصام) ، فكل الشهود أجمعوا على أن سيارة سوداء كبيرة دفعتك دفعًا فى طريق المترو ، وأنك بكل عصوبة نجوت بحياتك .

قال (عصام) فى سخرية :

ـ هذا عظيم .. أفضل بكثير من اتهامى بمحاولة تدمير المترو .

أجابه الضابط فى صرامة :

ـ كل شىء جائز يا أستاذ (عصام) ، ومن الناحية القانونية ، ما زال بإمكاننا اتهامك بإتلاف المترو وإعاقة خط سيره ، على الرغم من شهادة الشهود .

قال (عصام) مرة أخرى فى سخرية :

ـ يا للعدالة ؟!

أجابه الضابط فى صرامة أكثر :

ـ إننا ننفذ القانون .

همَّ (عصام) بقول شىء ما ، عندما ارتفع من جهاز اللاسلكى فى السيارة صوت صارم ، يقول :

ـ من القيادة إلى الدورية الثالثة والعشرين .. هل أنتهيتم من الإجراءات الخاصة بحادث التصادم .

أجابه الضابط على الفور :

ـ كل شى على ما يرام يا سيِّدى .. انتهينا من الإجراءات ، و ...

قاطعه الصوت الصارم :

ـ أطلقوا سراح الأستاذ (عصام كامل) .

ارتفعت حواجب الجميع فى دهشة ..

حتى (عصام) نفسه ..

فما معنى هذا الأمر المباشر ؟!

وكيف علم صاحبه أن (عصام) داخل السيارة معهم ؟!

وما معنى كلمة أطلقوا سراحه ؟!

هل اعتبروه متهمًا بالفعل ؟!

وبكل دهشته وتوتره ، قال ضابط الدورية :

ـ الأستاذ (عصام) ليس متهمًا يا سيِّدى .. إنه مجَّرد ..

قاطعه الصوت مرة أخرى بصرامة أكثر :

ـ اتركوه .

صمت الضابط لحظة ، قبل أن يقول فى ضيق واضح :

ـ كما تأمر يا سيِّدى .. سننزله فورًا .

أجابه صاحب الصوت الصارم :

ـ أوصلوه إلى مستشفى الشرطة فى العجوزة ، واتركوه هناك ..

سرت موجه من التوتر فى جسد (عصام) ، وهو يقول :

ـ مستشفى الشرطة ؟! لماذا ؟! هل أصيب العميد (عادل) مرة أخرى ؟!

هل تطورت إصابته ؟! هل ؟

انقطع الاتصال اللاسلكى بغتة ، فانعقد لسان (عصام) فى حلقه ، وحدّق لحظة فى جهاز اللاسلكى ، قبل أن يهتف بالضابط :

ـ ماذا تنتظر يا رجل ؟! انطلق بسرعة إلى مستشفى الشرطة فى (العجوزة) .

لم تكد سيارة الشرطة تتوقّف عند المستشفى ، حتى قفز (عصام) منها ، وانطلق يعدو إلى الداخل ، وقفز فى درجات السلم قفزًا ، حتى بلغ حجرة العناية المركزة ، فهتف بممرضتها المستديمة :

ـ كيف حال العميد (عادل) ؟! ماذا أصابه ؟!

ارتفع حاجبا الممرضة فى دهشة ، وهى تقول :

ـ العميد (عادل) ؟!.. ولكنه لم يعد هنا !

صرخ (عصام) :

ـ لم يعد هنا ؟! ماذا تعنين ؟!

تراجعت أمامه فى خوف ، وهى تلوّح بيدها ، قائلة :

ـ لقد .. لقد تم نقله إلى مستشفى خاص .

صاح فى حدة :

ـ متى ؟! وكيف ؟!

أجابته بسرعة وتوتر :

ـ منذ أقل من ساعة .. لقد حضر أقاربه ، ومعهم أحد الأطباء ، وراجعوا ملفه الطبى كله ، ثم أحضروا سيارة إسعاف مجهّزة ، ونقلوه إلى مستشفى خاص على مسئوليتهم .

اتسعت عيناه فى ارتياع ، وتراجع كالمصعوق ، وهو يتمتم :

ـ يا للأوغاد !!. يا للأوغاد !!..

حدّقت الممرضة فى وجهه بدهشة ، ثم استعارت شيئًا من الشجاعة ، وتقدّمت نحوه ، قائلة :

ـ أأنت بخير ؟!

هزّ رأسه نفيًا فى مرارة ، وهو يقول :

ـ كلاّ .. لست بخير .

ارتفع حاجباها مرة أخرى فى دهشة ، وهمّت بقول شىء ما ، عندما ارتفع نداء فجأة ، عبر مكبرات الصوت ، يقول :

ـ الأستاذ (عصام كامل) مطلوب ، من أجل محادثة هاتفية عاجلة .. أكرّر .. الأستاذ (عصام كامل) ..

دار (عصام) على عقبيه ، وانطلق إلى الاستقبال ، والتقط سمّاعة الهاتف من الموظف ، ووضعها على أذنه ، قائلاً فى لهفة :

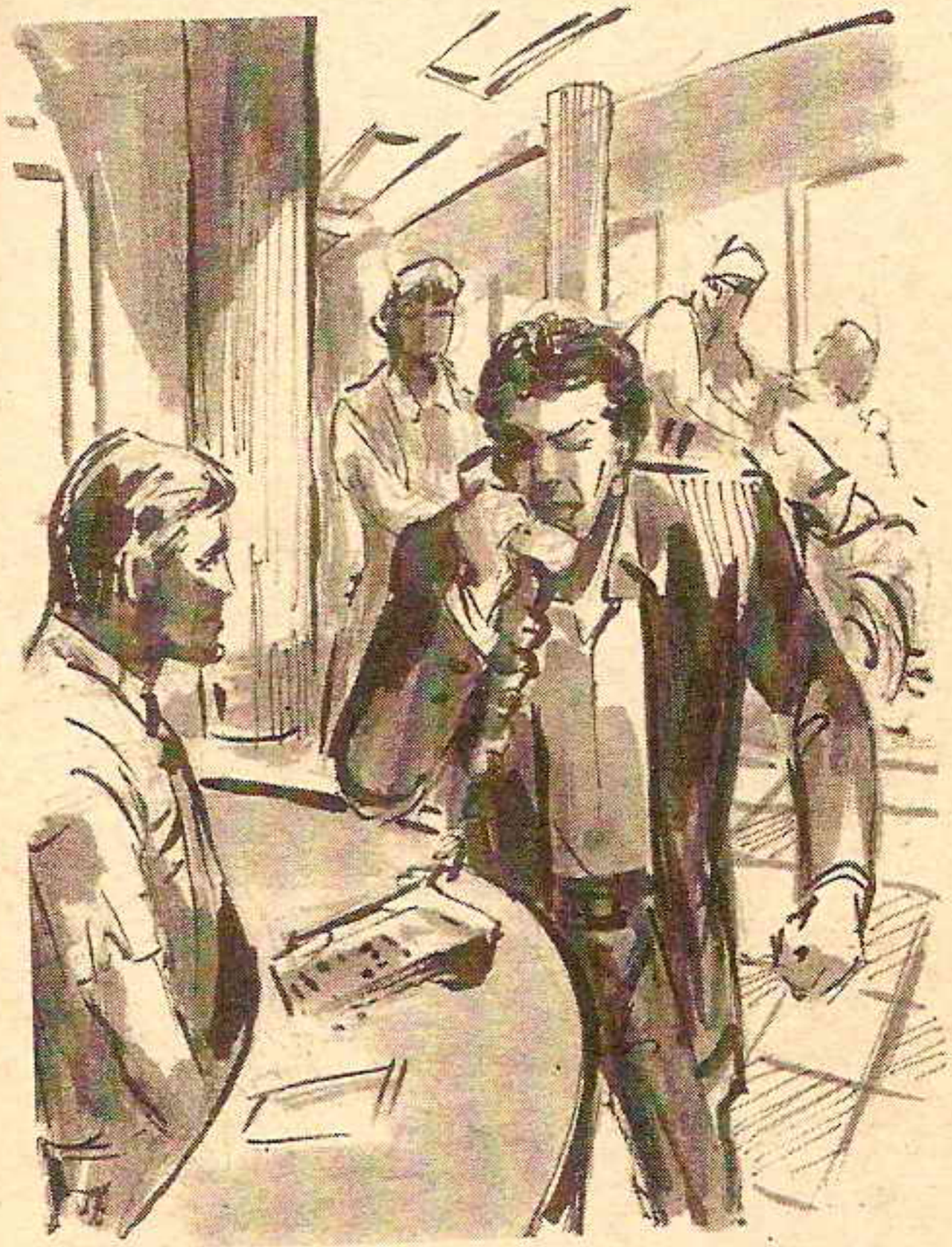

دار (عصام) على عقبيه ، وانطلق إلى الاستقبال ، والتقط سمّاعة الهاتف من الموظف ، ووضعها على أذنه ..

ـ أنا (عصام كامل) .. من المتحدّث ؟!

أتاه صوت صارم ، يقول فى هدوء :

ـ العميد (عادل محمود) لدينا .

هتف (عصام) :

ـ أيها الأوغاد !! لن يمكنكم أبدًا أن ..

قاطعه صاحب الصوت :

ـ ولن يمكنك التوصّل إليه قط .

صاح (عصام) :

ـ وما الثمن المطلوب ؟! أن أغلق ملف قضية الرجل المجهول .. أليس كذلك ؟!

قال الرجل فى حزم :

ـ هذه الأمور لا يصلح الهاتف لمناقشتها يا أستاذ (عصام) .

سأله (عصام) فى عصبية :

ـ أين يمكن مناقشتها إذن ؟!

أجابه الرجل :

ـ برج (القاهرة)(*) ، بعد نصف ساعة من الآن ..

(*) برج القاهرة : بناء تم تشييده عام ١٩٦١ ، فى منطقة الجزيرة فى (القاهرة) ، وهو أسطوانى الشكل ، ارتفاعه ١٨٠م ، قام بتصميمه ، وتنفيذه مهندسون مصريون ، ومداخله مكسوة برسوم من الفسيفساء .

لا نخبر أحدًا ، وإلا ...

وأنهى المحادثة ، قبل أن يتمّ عبارته ، وكأنم لم يجد فائدة من إتمامها ، فتجمّدت أصابع (عصام) على سمّاعة الهاتف ، وعضّ شفته السفلى فى غضب وغيظ ، والرنين المتقطّع يصم أذنيه من الطرف الآخر ، قبل أن يعيد السمّاعة إلى موضعها ، متمتمًا فى حنق :

ـ يا للأوغاد ؟!

كان من الواضح أن عصابة الكبار تتحرّك بسرعة مدهشة حقًا ..

لقد حاولوا قتله فى البداية ، وعندما فشلوا ، أسرعوا يختطفون العميد (عادل) ، على الرغم من غيبوبته وإصاباته ، كمحاولة للضغط عليه ، وإجباره على التخلّى عن قضية ذلك المجهول ..

أو للقضاء عليه ..

قفزت الفكرة إلى رأسه ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يدرس الموقف من تلك الزاوية الجديدة ..

من أدراه أنهم لا يستدرجونه إلى البرج للقضاء عليه هناك !!..

رسم ذهنه صورة وهمية لرجال يحاصرونه على قمة البرج ، ثم يحملونه ، ويلقون به من فوقه ..

ورأى بعين الخيال جسده يهوى من ذلك الارتفاع الشاهق ..

ويهوى ..

ويهوى ..

ثم انتفض جسده فى عنف ، وهو يخرج من الصورة الوهمية ، ويهتف :

ـ رباه !.. يا للأوغاد !

وعاد يلتقط سمّاعة الهاتف ، ويضرب أزراره بأصابعه فى لهفة ، ولم يكد يسمع صوت محدّثه ، حتى قال :

ـ أنا (عصام كامل) .. أريد التحدُّث إلى النقيب (عصمت فوزى) .

فوجئ بمحدّثه يجيب :

ـ النقيب (عصمت فوزى) ليس هنا ، لقد خرج فى مأمورية سرية عاجلة ، ولن يعود قبل خمسة أيام .

انعقد حاجبا (عصام) فى شدة ، وهو يقول :

ـ خمسة أيام ؟! أهى مأمورية عاجلة إلى هذا الحد ؟!

أجابه محدّثه فى صرامة :

ـ لا يمكننى أن أخبرك بأية معلومات إضافية .

وأنهى المحادثة فى عنف ، على نحو تفجّر له الغضب فى أعماق (عصام) ، وجعله يعيد السّماعة إلى موضعها فى حدة ، قائلاً :

- يا للأوغاد !..

كان من الواضح أنه يواجه قوة لا قبل له بها ..

قوة تغلغلت فى المجتمع كأخطبوط رهيب ، وامتدّت أذرعها فى كل الاتجاهات ..

وفى كل الهيئات ..

حتى الشرطة ، لم تسلم منهم ..

لقد اختطفوا (عادل) ..

واستبعدوا (عصمت) ..

ومن يدرى ما الذى يمكنهم فعله ، فى المرحلة التالية ؟

توقّف متردّدًا ، يتساءل فى أعماقه عما إذا كان من الأفضل أن يذهب إلى ذلك الموعد فى البرج أم لا ..

وبعد دقائق عشر من التفكير العميق ، أدرك أنه ليس أمامه سوى الذهاب ، ولقاء ذلك المتحدّث المجهول ..

وفى الموعد المحدود بالضبط ، كان يقف على قمة برج (القاهرة) ..

وفى المعتاد ، كان ذلك المشهد يملأ نفسه بالانبهار والزهو والتقدير ، وهو يتطلّع إلى (القاهرة) كلها ، من ذلك الارتفاع الشاهق ..

أما فى هذه المرة ، فقد سرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ، وتفجّر الخوف من كل خلية من خلاياه .

ولأوّل مرة فى حياته ، شعر بالارتياح للزحام الشديد على قمة البرج ..

على الأقل لن يسمح هذا الزحام للأوغاد بالقضاء عليه ، على نحو سافر ..

وراح الوقت يمضى فى بطء قاتل مستفز ..

ويمضى ..

ويمضى ..

ساعة كاملة انقضت ، بعد الموعد المحدّد ، دون أن يحضر أحد ..

فما الذى يعنيه هذا ؟!

هم الذين حدّدوا الزمان والمكان للمقابلة ..

فلماذا لم يحضر أحدهم ؟!

لماذا ؟!

التقى حاجباه فى شدة ، وهو يفكّر فى هذا الأمر ..

لماذا أرسلوه إلى هذا المكان ، دون أن يحضر أحدهم لمقابلته ؟!

فجأة ، تفتّق ذهنه عن الحل ..

لم يكن هناك لقاء على الإطلاق ..

ولا أحد سيأتى لمقابلته هنا ..

لقد أبعدوه عن كل الأماكن ، التى اعتاد التواجد فيها ، ليخلو لهم الجو ، للقيام بعمل ما ..

هذا هو التفسير الوحيد ..

إنهم يعبثون به ..

وبكل الغضب والحنق فى أعماقه ، اندفع يغادر البرج ، ويستقلّ أوّل سيارة أجرة إلى الجريدة ، وعقله يكاد ينفجر من شدة التفكير ..

ما الذى يسعون إليه بالضبط ؟!

لماذا أبعدوه طوال ساعة كاملة ؟!

ما الخطوة التى أقدموا عليها فى غيابه ؟!

صعد إلى مكتبه فى الجريدة فى لهفة ؛ وقلبه يشعر بأنهم فعلوا شيئًا ما هناك ..

ولم يكد يدلف إلى مكتبه ، حتى هتفت به زميلته :

ـ أستاذ (عصام) .. أين كنت ؟! لقد بحثنا عنك فى كل مكان .

امتقع وجهه ، وهو يسألها :

ـ لماذا ؟! ماذا حدث ؟!

أجابته فى حيرة :

ـ أحد رجال الشرطة أتى إلى هنا ، وقام بتفتيش مكتبك ، وأخذ كل صور ذلك المجهول ، وكل الأفلام السلبية من عم (توفيق) ، ولقد حاولنا الاتصال بك فى أثناء وجوده ، ولكننا لم نعثر عليك أبدًا .

امتقع وجه (عصام) أكثر ، وهو يستمع إليها ، وهبط قلبه بين قدميه ..

إذن فهذه خطتهم ..

الاستيلاء على كل صور المجهول ..

كل صورة ، يمكن أن تكشف حقيقته ..

يا لها من خطة معقّدة !

استولوا على جثته ..

وهويته ..

وصوره ..

كل الصور التى التقطها له عم (توفيق) ..

ولكن مهلاً ..

ما زال هناك ذلك الفيلم ، الذى التقطه التليفزيون .. وصور الحادث ، التى التقطها عم (توفيق) ..

وفى لهفة ، سأل زميلته :

- أين عم (توفيق) ؟!

هزّت رأسها ، مجيبة :

- لست أدرى .. ذلك الشرطى اصطحبه إلى حجرة التصوير ، وحصل منه على كل صور الحادث ، والأفلام السلبية ، و ...

قبل أن تتمّ عبارته ، كان يختطف سماعة الهاتف ، ويطلب رقم خطيبته (نهلة) فى التليفزيون ، ولم يكد يسمع صوتها ، حتى قال فى لهفة :

- (نهلة) .. أنا (عصام) .

هتفت (نهلة) :

- (عصام) .. كنت سأتصل بك الآن .

انقبض قلبه لقولها ، وسألها فى توتر :

- لماذا ؟! ماذا حدث ؟!

أجابته فى مزيج من التوتر والقلق والدهشة :

- الفيلم يا (عصام) .. فيلم حادث قرية الأطفال .. لقد اختفى ..

قفز من مكانه ، وهو يهتف :

- اختفى ؟! كيف ؟!

أجابته منزعجة :

- لا أحد يدرى .. كنا نرغب فى إعادة عرضه ، عندما كشفنا اختفاءه ، واختفاء تلك الصورة ، التى منحتها لبرنامج (صباح الخير يا مصر) .. يبدو أن بعضهم سرق الفيلم والصورة لهدف ما يا (عصام) .

كادت أصابع (عصام) تعتصر سمّاعة الهاتف ، وهو يستمع إلى حديثها ، وشعر بقبضة باردة كالثلج تعتصر قلبه ..

ها هى ذى عصابة الكبار تضرب ضربة جديدة ..

وناجحة ..

لقد غيَّروا خطتهم فجأة ، وقرَّروا محو قصة ذلك المجهول ..

ومحو كل دليل على وجوده ..

فيلم الفيديو ..

الصور ..

وحتى الأفلام السلبية ..

ولكن ماذا عن أذهان الناس ؟!

ماذا عن ملايين المشاهدين ، الذين شاهدوا الحادث ، على شاشات التليفزيون ؟!

ماذا عن الملايين ، الذين شاهدوا الصور فى الصفحات الأولى ، لكل الصحف اليومية ؟!

لا ..

لن يمكنهم محو الأمر بهذه البساطة ..

لن يمكنهم أبدًا التعتيم على ذلك المجهول ، الذى قام بعمله البطولى على رءوس الأشهاد ..

لن يمكنهم أبدًا ..

وبكل الحزم فى أعماقه ، هتف :

ـ لن ينجحوا .

انتبه فى تلك اللحظة بالذات ، إلى أنه ما زال يمسك سمَّاعة الهاتف ، عندما سمع صوت خطيبته (نهلة) ، وهى تقول :

ـ (عصام) .. ماذا حدث ؟!

أجابها فى حزم :

ـ لا شىء يا عزيزتى .. لا شىء .. فقط كنت أفكِّر بصوت عال .. إلى اللقاء .. سأعاود الاتصال بك لاحقًا .

وأنهى المحادثة ، وهو يغادر مكتبه فى خطوات عاجلة سريعة ، تفيض بالقوة والعزم والحسم ..

الآن اتضحت له أبعاد المؤامرة ..

وخطورتها ..

وقوة وسلطة المشاركين فيها ..

ولكنه لن يتراجع ..

ولن يتوقَّف ؛ حتى يصل إلى الحقيقة ..

وحتى ينشرها بقلمه ، فى صفحة أخبار الحوادث ، مذيلة بذلك التوقيع ، الذى قفز به إلى القمة ..

توقيع (ع × ٢) ..

وعندما استعاد ذهنه توقيعه الشهير ، استعاد معه اسمى الشخصين الوحيدين الباقيين ، اللذين يثق بقدرتهما على كشف الغموض ..

أى غموض ..

(عماد) و(علا) ..

نعم ..

لم يعد أمامه سواهما ..

لابد أن يلتقى بهما ..

وأن يقصَّ عليهما الموقف كله ..

لابد ..

وتوقَّف أمام مبنى الجريدة ، والشمس تميل إلى المغيب ، فى انتظار سيارة أجرة ، تذهب به إلى منزل (عماد) و (عُلا) ..

ومن بعيد ، غمغم غليظ الملامح ، داخل السيارة السوداء الكبيرة :

ما رأيك ؟! هل تعتقد أنه بإمكاننا أن نفعلها الآن ؟!

تلفلَت زميله حوله ، ثم رفع أحد حاجبيه ، مجيبًا :

ـ ولِمَ لا ؟! الجو هادئ الآن ولوحـات السيارة زائفـة ، وهو يبدو شاردًا ..

ثم اعتدل ، مكملا بصوته الخشن :

هيا .. دعنا ننه مهمتنا يا رجل .

تألَقت عينا غليظ الملامح ، وهو يتمتم :

ـ عظيم .. أنا أحب هذا كثيرًا .

وضغط دوّاسة الوقـود ، وهـو ينطلـق بالسيارة نحـو (عصام) ..

وبأقصى سرعة ..

وفى هذه المرة ، كان (عصام) شارد الذهن بحق ، ولم ينتبه إلى السيارة السوادء الكبيرة المنطلقة نحوه .

وكان هذا يعنى أن فرص نجاته قد انخفضت إلى رقـم مخيف ..

الصفر .

★ ★ ★

انتهى الجزء الأوّل بحمد اللّه

ويليه الجزء الثانى والأخير

(الرجل الغامض)

مغامرات ع ×٢

صدر من هذه السلسلة :

1 ـ قضية الصراف.
2 ـ قضية قتيل الفندق.
3 ـ قضية بائع الذهب.
4 ـ قضية حادث المقطم.
5 ـ قضية المهرب.
6 ـ قضية لص السيارات.
7 ـ قضية مزور النقود.
8 ـ قضية الجاسوس السرى.
9 ـ قضية تاجر المخدرات.
10 ـ قضية العقد المفقود.
11 ـ قضية جامع الطوابع.
12 ـ قضية لاعب الكرة.
13 ـ قضية مصرع الحلاق.
14 ـ قضية الضابط المزيف.
15 ـ قضية الحريق الغامض.
16 ـ قضية جريمة المسرح.
17 ـ قضية قطار الرُعب.
18 ـ قضية السجين الهارب.
19 ـ قضية رجل الساعة.
20 ـ قضية لعبة الموت.
21 ـ قضية الطفل الثالث.
22 ـ قضية شرطى المرور.
23 ـ قضية الجريمة الوهمية.
24 ـ قضية منتصف الليل.
25 ـ قضية حرب المخابرات.
26 ـ قضية العالم المفقود.
27 ـ قضية القناع الملعون.
28 ـ قضية أسلحة الدمار.
29 ـ قضية قصر الجريمة.
30 ـ قضية الحصان الأسود.
31 ـ قضية القاتل المحترف.
32 ـ قضية الوصية الضائعة.
33 ـ قضية الحارس الليلى.
34 ـ قضية بحيرة الأسرار.
35 ـ قضية كنز القلعة.
36 ـ قضية شبح الضحية.
37 ـ قضية الفواصة المحترقة.
38 ـ قضية أخطر العملاء جـ١.
39 ـ قضية لعبة الثعالب جـ٢.
40 ـ قضية قلب الجحيم جـ٣.
41 ـ قضية جزيرة الأشرار جـ١.
42 ـ قضية زعيم الثعالب جـ٢.
43 ـ قضية الأبلة.
44 ـ قضية الأصابع الرهيبة.
45 ـ قضية القنبلة الزمنية.
46 ـ قضية الوحش.
47 ـ قضية عين الشر.
48 ـ قضية المخلب الذهبي.
49 ـ قضية انتحار مقاتل.
50 ـ قضية القضايا.
51 ـ قضية الرقم المجهول.
52 ـ قضية حكم الاعدام.
53 ـ قضية أشهر مجهول.
54 ـ قضية الرجل الغامض.

مغامرع × ٢ات

سلسلة القصص بوليسية مثيرة للشباب..
تنشط العقل وتنمى الفكر والذكاء..

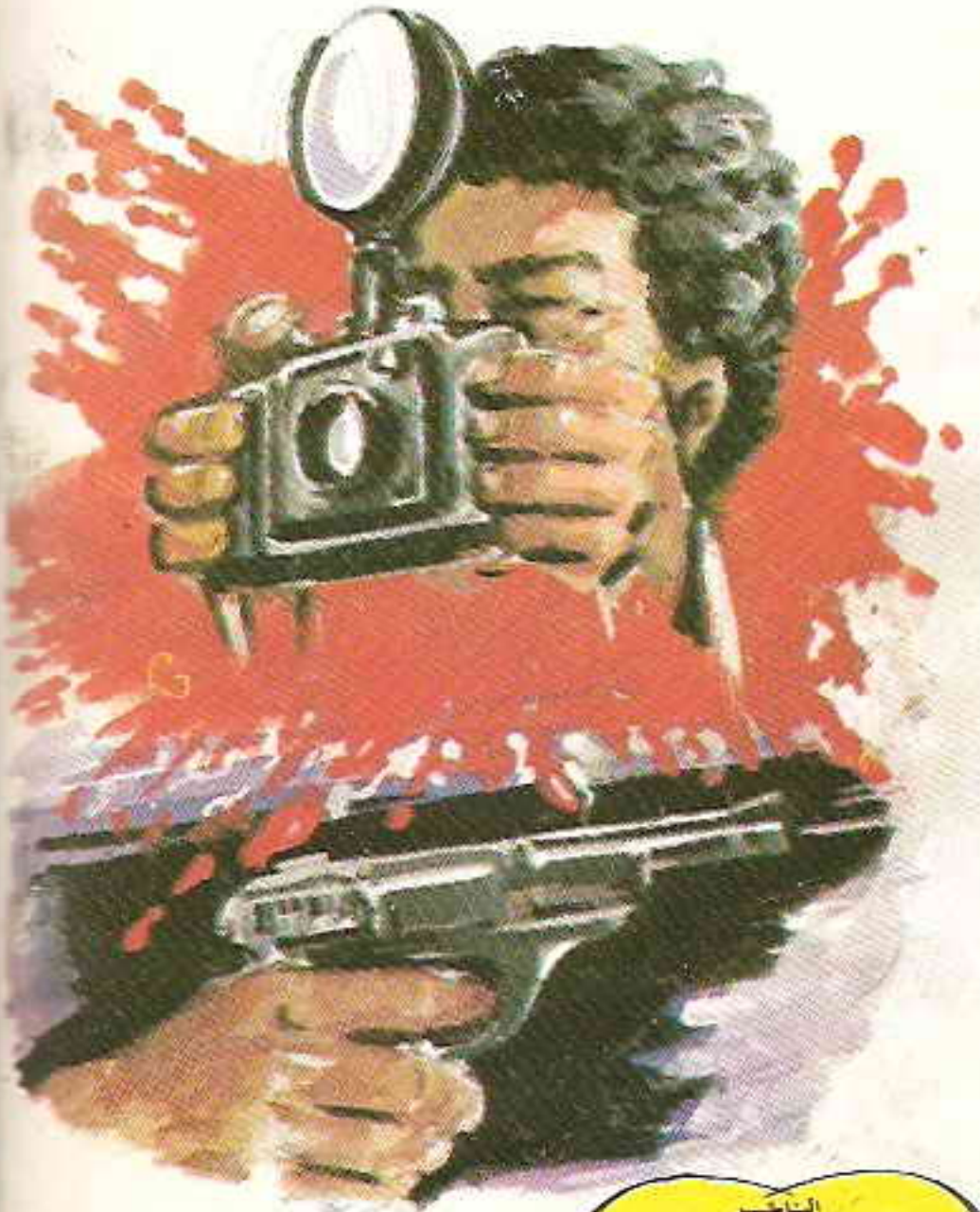

د. نبيل فاروق

قضية أشهر مجهول

- من ذلك البطل الذى أنقذ طفلى قرية الأطفال من حريق مدمِّر ؟!
- لماذا سرق بعضهم متعلقات البطل المجهول وسيارته ؟!
- ترى ما السر وراء ذلك المجهول ، ولماذا وقع اختيار القدر عليه بالتحديد ، ليصبح (أشهر مجهول) ؟!
- اقرإ التفاصيل المثيرة، وابحث عن الحقيقة مع فريق (ع × ٢).

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع الجلاء متفرع من الجيزة - القاهرة - ت ٥٨٤٨٠٩

الثمن فى مصر ١٢٥ قرشاً
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم (الرجل الغامض)